
"الأمور المستحيلة
تحدث فقط مع الغرباء"
د. نبيل فاروق
المغامرة
رواية
t.me/book100100



المغـامـرة



د.نبيل فاروق: المغامرة، روايـة

طبعة دار دَوِّنْ الأولى: يناير ٢٠٢٠

رقم الإيداع: ٢٧٠٨٨ /٢٠١٩ - الترقيم الدولي: 3 - 208 - 806 - 977 - 978

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

عضو اتحاد الناشرين العرب.

القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

د.نبيل فاروق

المغامرة



روايــة





عالمك الذي ألِفته، واعتدت العيش فيه، مجرد سطر واحد في صفحة الحياة، التي تذخر بعوالم قد لا يمكنك حتى تخيّل وجودها، فإذا ما تصوّرت أنه العالم الوحيد الحقيقي، ولا وجود لسواه، فقد يعني هذا أنك مجرّد حرف واحد في كتاب الكون... حرف قد يأتي ويمضي دون أن يشعر به أحد... مطلقًا.

د.نبيل فاروق



- ١ -
دنيا الخيال

«يا له من خيال!..».

قهقه (أشرف) ضاحكًا، وهو يلقي هذه العبارة، وهزَّ رأسه مبتسمًا، وهو يناول صديقه (نذير) تلك الأوراق، التي فجَّرت ضحكته، وقال في سخرية مرحة:

- أتصدَّق حقًّا ما تكتبه؟!

هزَّ (نذير) كتفيه، وقال:

- بالطبع.. صحيح أنه جزء نادر من العالم، ولكنه موجود حتمًا.

قهقه (أشرف) ضاحكًا مرة أخرى، قبل أن يقول مستنكرًا:

- موجود؟!.. رجال مخابرات، وجواسيس، ومدافع رشاشة، وطائرات هليوكوبتر؟!.. أتتصوَّر أن كل هذا موجود بالفعل؟!

ابتسم (نذير)، وهو يقول في هدوء:

- كيف تفسِّر إذن كل أعمال المخابرات، في أركان العالم الأربعة، وكل العمليات المدهشة التي ربحت حروبًا، لو لم يكن كل هذا موجودًا؟!

ربَّت (أشرف) على رأس صديقه الكاتب القصصي الشاب، وقال في مرح:

- إنه موجود هنا فحسب... في رأسك وحدك، حتى ولو كان

يلقى قبولًا من قرّائك.

ونهض من مقعده مستطردًا:

- هذا العالم يا صديقيي يملأ شاشات السينما فحسب، أما أعمال المخابرات الحقيقية، فهي هنا... في العقل وحده... المخابرات تتصارع بالعقول فقط.

سأله (نذير) مبتسمًا:

- وكيف يمكنك الجزم بهذا؟!... هل عملت في المخابرات من قبل؟!

هتف (أشرف) في استنكار:

- مطلقًا... وما شأني أنا بهذا؟!... إنني رجل مباشر بسيط يا صديقي، لا أحب الصراعات، سواء أكانت عقلية أم بدنية.

ثم ابتسم، ولوَّح بكفه، وهو يضيف في هيام:

- إنني أفضّل الجمال، والأناقة، والرحلات البحرية، والفتيات الجميلات، و...

بتر عبارته بغتة، وتطلَّع إلى ساعته في لهفة، قبل أن يضيف في قلق:

- يا إلهي!.. كدت أخسر كل هذا بسبب روايتك.

ثم اختطف حقيبته، ولوَّح بكفه، هاتفًا:

- إلى اللقاء... سنلتقي بعد شهر واحد.

هتف به (نذير):

- بلّغ تحياتي إلى (إسطنبول).

أجابه (أشرف) في مرح:

- سأرسل لك بطاقة أنيقة من هناك.

وأغلق الباب خلفه، وهبط درجات السلم في سرعة، وهو يحدِّث نفسه، قائلًا:

- (إسطنبول)، بكل ما فيها من سحر الشرق، وجمال الطبيعة... أراهن أن رحلتك ستكون رائعة هذا العام يا (أشرف).

ابتسم في سعادة، وهو يرسم بخياله رحلته إلى العاصمة التركية، ثم هتف:

- بل أكثر من رائعة.

استوقف واحدة من سيارات الأجرة، وقفز داخلها، هاتفًا بالسائق:

- أريد الوصول إلى الميناء بأسرع ما يمكن، وسأنقدك بقشيشًا فخمًا لو فعلت.

انطلق به السائق، عبر طريق الكورنيش بـ(الإسكندرية)، وهو يمنّي نفسه بالبقشيش السخي، في حين استرخى هو في مقعده، وأسبل جفنيه، وراح يواصل حلمه...

سيسعى لمشاهدة كل ما حلم بمشاهدته في (إسطنبول)...

سينفق في سخاء، ما دام يحمل معه قدرًا كافيًا من المال...

الإقامة في فندق فاخر، واستئجار سيارة خاصة، وقضاء سهرات حافلة، هذا هو ما يخطِّط له منذ عامين كاملين...

سيتحقَّق حلمه بعد أيام معدودة، يقضيها في كابينة من كبائن الدرجة الأولى، على متن باخرة أنيقة...

توقف عن الأحلام، عندما توقفت السيارة، وسمع السائق يقول في حماس:

- الميناء يا سيِّدي.

غادر السيارة منفعلًا، ونقد السائق أجره، والبقشيش السخي، الذي وعده به، وحمل حقيبته إلى الميناء...

ولم تستغرق الإجراءات وقتًا طويلًا...

لم تمضِ ساعة واحدة، حتى كان داخل كابينته الأنيقة، يتنسّم هواء البحر النقي، والباخرة تطلق نفيرها المميز، وهي تبدأ رحلتها إلى العاصمة التركية...

إلى (إسطنبول)...

وعلى الرغم من أنه لم ينعم بقدر كافٍ من النوم في الليلة الماضية، إلا أن سعادته ونشوته منعتاه من النوم في فراشه الوثير، فظلّ يتحرَّك في كابينته في انفعال، إلى أن هتف بنفسه مستنكرًا:

- ولكن ماذا تفعل في سجن الدرجة الأولى هذا، ما دمت تعجز عن النوم؟!

أسرع يبدل ثيابه بأخرى مريحة، وخرج إلى سطح الباخرة...

كان كل الركَّاب هناك تقريبًا، بعضهم يستند إلى الحاجز، ويتطلَّع إلى (الإسكندرية)، التي تبتعد في بطء، والبعض الآخر يسترخي على السطح في ثياب الاستحمام، في حين تلتف البقية الباقية حول حوض السباحة الكبير، يتبادلون الأحاديث والنكات...

وفي شغف، راح (أشرف) يبحث بين الحاضرين عن فتيات في مثل عمره...

كان وسيمًا، أعزبَ، في السابعة والعشرين من عمره، يعمل مهندس كمبيوتر في شركة أمريكية كبرى، افتتحت فرعًا حديثًا

بـ(القاهرة)...

وكان يبحث عن زوجة مناسبة...

وكلمة مناسبة هنا تعني الكثير عند (أشرف) بالذات، فعلى الرغم من سعة اطلاعه، وثقافته الواسعة، كان كل ما يبحث عنه في الفتاة التي يرغب في الزواج منها، هو الجمال...

الجمال فحسب...

وفجأة، وقعت عيناه عليها...

بالتأكيد هي أجمل فتاة رآها في عمره كله...

شقراء، ذات عينين زرقاوين، تماثله طولًا تقريبًا، وتستند إلى حاجز الباخرة بجسم رائع، وقوام بديع...

وبكل الانبهار في أعماقه، هتف (أشرف):

- إنها هي.

أسرع نحوها، واستند إلى الحاجز على مسافة سنتيمترات منها، وقال بابتسامة أنيقة:

- الطقس بديع... أليس كذلك؟!

تطلَّعت إليه بنظرة باردة، ثم عادت ترمي بصرها بعيدًا، فتنحنح في حرج، وغمغم:

- أهي أوَّل رحلة بحرية؟!

خُيِّل إليه لحظات أنها ستتجاهله تمامًا، إلا أنها التفتت إليه في بطء، وألقت عبارة ما بلغة لم يفهم منها حرفًا واحدًا، فحدَّق في وجهها متمتمًا:

- ماذا تقولين؟!

كرَّرت عبارتها بالإنجليزية:

- أأنت مصري؟!

أجابها بإنجليزية أنيقة، تعلّمها من احتكاكه بالأمريكيين في العمل:

- نعم... لي كل الفخر.

ابتسمت ابتسامة رائعة، هوى لها قلبه بين ضلوعه، وخفق في انبهار، وهي تقول:

- يروق لي من يحبون أوطانهم.

سألها في لهفة:

- وماذا عنك؟!.. ما موطنك بالضبط؟!.. أأنت يونانية؟!

هزَّت رأسها نفيًا، وقالت:

- بل سوفييتية.

كان هذا آخر جواب يتوقَّعه، لذا فقد هتف في دهشة:

- سوفييتية؟!

سألته مبتسمة:

- ألم تكن تتوقَّع هذا؟!

ثم ضحكت مستطردة:

- إننا لم نعد كالماضي... إننا في التسعينيات... لقد بدأ عصر (البروسترويكا)[1].

---

(١) البروسترويكا = خطة للإصلاح، وضعها الزعيم السوفييتي (ميخائيل جورباتشوف)، لتحرير الاقتصاد السوفييتي، والنهضة بالسياسة الجديدة، لتواكب المتغيرات العالمية، وتنقِّي النظام من كل ما علق به من شوائب.

هزَّ كتفيه، وقال:

– لست أفهم كثيرًا في السياسة، ولكنني لم أرَ من قبلُ سوفييتية رائعة الجمال مثلك.

تطلَّعت إليه في دهشة، ثم ابتسمت مغمغمة في خبث:

– أهو نوع من الغزل؟!

ابتسم قائلًا:

– أيضيرك لو اعتبرناه كذلك؟

فتحت شفتيها الجميلتين، لتقول شيئًا ما، إلا أن ملامحها حملت بغتة علامات ذهول وذعر، وبقيت شفتاها منفرجتين للحظات، وهي تحدِّق في لقطة ما خلف ظهر (أشرف)، مما دفعه إلى أن يلتفت، ويتطلَّع بدوره إلى حيث تحدِّق، ولكن كل شيء بدا له طبيعيًّا هناك، حول حوض السباحة، فعاد يلتفت إلى السوفييتية، التي بدت شديدة التوتر والقلق، حتى أنه سألها:

– ماذا هناك؟!

سيطرت على ملامحها بسرعة، وهي تجيب:

– لا شيء.

ولكن اضطرابها كان أكبر من أن تنجح في إخفائه، وهي تعود لتستند إلى حاجز الباخرة، ويشرد بصرها بعيدًا، فسألها (أشرف)، محاولًا إعادة ربط الحديث بينهما مرة أخرى:

– هل أصابك دوار البحر؟!

غمغمت في اقتضاب:

– أظن هذا.

شعر بالحرج، من عبارتها المقتضبة، وكاد يبتعد عنها، لولا أن سألته بغتة:

- أأنت مسافر إلى (تركيا)؟!

أجابها:

- نعم... إلى (إسطنبول) بالتحديد.

أدهشه أن تنهَّدت في ارتياح، وقالت:

- هذا من حسن حظي.

ثم سألته في لهفة:

- هل يمكنك نقل رسالة مني إلى صديقة تقيم هناك؟!

شعر بالحيرة إزاء مطلبها، ولكنه أجاب:

- بالتأكيد.

تمتمت في ارتياح أكثر:

- عظيم.

لم يفهم ما تعنيه، ولم يشعر بالارتياح لها، حتى بعد أن تركها، وعاد إلى كابينته الفاخرة...

شيء ما فيها كان يقلقه...

أهو برودها؟!... أم كونها سوفييتية؟!...

رجَّح أن يكون السبب الأخير هو المبرِّر المنطقي، فمن الطبيعي، بعد أربع سنوات من العمل مع الأمريكيين، أن يشعر بالشك والقلق، تجاه كل ما هو سوفييتي...

هذا هو التفسير المنطقي حتمًا...

استراح لهذا الرأي، وأغمض عينيه، محاولًا الاستسلام للنوم،

ولكنه سمع طرقات متوترة على باب كابينته، فقال في خمول:

- ادخل.

اتسعت عيناه عن آخرهما، عندما فوجئ بالسوفييتية تدلف إلى حجرته، وتقول في اضطراب واضح:

- معذرة... هل يمكنني تسليمك رسالة صديقتي الآن؟!

هبَّ جالسًا على طرف فراشه، وهو يقول في ارتباك:

- بالطبع.

ناولته مظروفًا كبيرًا إلى حد ما، وهي تقول في لهفة:

- اسمها (ناتاليا) وتقيم في فندق (أتاتورك)، في الحي التجاري الغربي... عدني أن تبحث عنها، وأن تسلمها رسالتي.

تمتم في دهشة وتوتر:

- أعدك.

لم يكد ينطق عبارته حتى غادرت الكابينة على عجل، وسمع وقع أقدامها، وهي تعدو عبر الممر الطويل الذي يضمّ كبائن الدرجة الأولى.

وفجأة، اختلط وقع أقدامها بوقع أقدام أخرى عنيفة صارمة...

وانطلقت تلك الصرخة الرهيبة المخيفة، تشق سكون الليل...

وكان من السهل أن يميِّز (أشرف) تلك الصرخة، على الرغم من الدماء التي ترتجف في عروقه...

لقد كانت صرخة السوفييتية...

صرخة أنثى تتعذَّب...

وتموت.

* * *

– ٢ –

أسطوانة

أطلَّ مزيج من القلق والتوتر والضيق والغضب، من عيني قبطان الباخرة، وهو يتطلَّع إلى بحَّارته الذين يحملون جثة السوفييتية، خارج ممر كبائن الدرجة الأولى، ثم أدار بصره في وجوه ركَّاب هذه الدرجة، الذين بدا الذعر والانفعال على وجوههم، بعد أن أيقظتهم صرخة الفتاة من نومهم، وعثروا عليها في الممر مذبوحة كالنعاج...

وكان أكثر الجميع ألمًا وتوترًا وانفعالًا، هو (أشرف) بالطبع، فلقد كان الوحيد، بين ركَّاب الدرجة الأولى، أو بين ركَّاب الباخرة جميعهم، فيما عدا القاتل بالطبع، الذي يعرف –تقريبًا– سبب مصرع السوفييتية...

إنه ذلك المظروف، الذي أعطته إياه، قبيل مصرعها بلحظات...

كان القاتل يبحث عنه حتمًا...

وقتلها من أجله...

وقطع أفكاره صوت قبطان الباخرة، وهو يقول في ضيق:

– (هيلجا مينوفيتشي)... كانت تقيم في كابينة منفردة، في الدرجة السياحية، فما الذي أتى بها إلى الدرجة الأولى؟!

غمغم أحد الركَّاب:

- ربَّما أتت لمقابلة صديق.

قال القبطان في حنق:

- ومن هو هذا الصديق؟!

لم ينبس (أشرف) ببنت شفة...

كان يدرك حتمية إخفاء أمر معرفته للفتاة، وأمر الرسالة التي تركتها له...

وهتف القبطان مرة أخرى:

- من منكم يعرفها؟!

أنكر الجميع معرفتهم بها في توتر، في حين لاذ (أشرف) بالصمت تمامًا...

إنه يجهل محتويات ذلك المظروف، الذي تركته له الفتاة، ومن الأفضل أن ينكر معرفته بالفتاة نفسها؛ حتى يدرك ماهية ما يحويه ذلك المظروف، الذي قُتلت الفتاة من أجله...

وكرَّر القبطان سؤاله في حدة، ثم أعلن للجميع أنه سيُجري تحقيقًا شاملًا للأمر، وغادر المكان في انفعال...

ولم يكد القبطان يغادر الممر، حتى عاد الجميع إلى كبائنهم في صمت، وعلى رأسهم (أشرف)، الذي لم يكد يدلف إلى كابينته، حتى أغلق بابها خلفه في إحكام، وأسرع يرفع مرتبة فراشه، ويلتقط المظروف من أسفلها، ويتحسَّسه في اهتمام...

إنه يحوي جسمًا رقيقًا، صلبًا إلى حد ما، ويحوي ثقبًا دائريًّا

في منتصفه...

إنه يدرك ماهية ذلك الجسم...

بل ويتعامل معه يوميًّا، من خلال عمله كمهندس كمبيوتر...

إنه أسطوانة من أسطوانات الكمبيوتر المدمجة...

وهنا قفز إلى ذهنه سؤال محيِّر...

أية معلومات تلك التي تحتويها أسطوانة كمبيوتر، وتستحق أن يلقى المرء مصرعه من أجلها؟!...

تمنى في هذه اللحظة لو أنه يملك جهاز كمبيوتر، يتيح له معرفة ما تحويه الأسطوانة، ثم لم يلبث أن تمتم لنفسه:

- ربما لا توجد علاقة بين الأسطوانة ومصرع الفتاة.

نطقها في لهجة عجيبة، لم تنجح حتى في إقناعه هو، ولكنه حاول إقناع عقله بقبول الفكرة، وهو يقول في عناد:

- لا توجد علاقة بالطبع... يبدو أن العدوى قد انتقلت إليَّ من (نذير)، فرحت أتصوَّر أن كل شيء عبارة عن أسرار وجواسيس وخلافه.

كان يحاول إقناع نفسه، بأن هذا المظروف لا يعني شيئًا، وعلى الرغم من هذا لم يستطع إعادته إلى مخبئه البدائي الأوَّل، ولا حتى وضعه في حقيبته بكل بساطة، مما جعله يعترف -في قرارة نفسه- أن هذا المظروف يحوي شيئًا ثمينًا للغاية حتمًا، فنهض يبحث في كابينته عن مخبأ مثالي له، حتى وقع بصره على لوحة مثبتة بجدار

الكابينة، بوساطة بعض المسامير الحلزونية، فتمتم:

- من يدري؟!

وأخرج مطواته السويسرية من حقيبته، وحلّ بوساطتها المسامير الحلزونية، ثم دسّ المظروف خلف اللوحة، وربط المسامير مرة أخرى في إحكام، وتأمَّل نتيجة عمله، قبل أن يتمتم:

- رائع.

وهنا فقط عاد إلى فراشه، وقال لنفسه:

- ترى هل سيمكنني النوم، بعد كل هذا؟!

كان يتوقَّع من نفسه جوابًا بالنفي، ولكن يبدو أن الانفعال لا يؤدي دائمًا إلى الأرق...

بل أحيانًا إلى النوم...

النوم العميق...

هذا ما أدركه (أشرف)، عندما وجد نفسه يستيقظ في الصباح بغتة، فتمتم في دهشة:

- يا إلهي!.. يبدو أنني سقطت في غيبوبة، لا في نوم عادي.

غادر فراشه، واغتسل، وأبدل ثيابه، وبذل أقصى جهده، ليمحو من ذهنه ما حدث أمس، وهو يتجه إلى مطعم الباخرة لتناول طعام الإفطار، ولكن وجه السوفييتية لم يفارق ذهنه قط، بشعرها الأشقر، وجمالها الفتان، و ...

وقطع أفكاره فجأة صوت يقول بالأمريكية:

- أيضايقك أن أشاركك المائدة؟!

رفع عينيه إلى صاحب الصوت في بطء، ورأى أمامه رجل أمن أمريكيًّا...

لا تسأله كيف عرف أن ذلك المدني الذي يقف أمامه هو رجل أمن أمريكي؛ فقد عايش هؤلاء القوم طويلًا، ويمكنه تعرفهم وسط مظاهرة صاخبة...

الجسد الممشوق، الفك العريض، النظرات الثاقبة، تلك السترة المغلقة، حتى في الأيام الحارة، والمنتفخة تحت الأبطين..

لا يمكنه أن يخطئ هذا الشكل أبدًا...

وفي أمريكية أنيقة، أجاب الرجل:

- لا.. لا يضايقني هذا أبدًا.

جذب الرجل مقعدًا، وجلس قبالته، وهو يبستم ابتسامة لزجة، قائلًا:

- من الواضح أنك تتحدَّث الأمريكية بطلاقة؟!

أجابه (أشرف) في اقتضاب:

- أعمل في شركة أمريكية.

رفع الرجل حاجبيه، وهتف:

- رائع... هذا يجعل الأمور أكثر سهولة.

كانت عبارته -في نظر (أشرف) - اعترافًا صريحًا بهويته، ولكن (أشرف) تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا، وسأل الرجل في حذر:

- أية أمور؟!

-لم يفقد الرجل ابتسامته اللزجة المقيتة، وهو يقول:

- تعارفنا وحديثنا.

ثم مد يده، لترتطم بالأطباق، وهو يصافح (أشرف)، مستطردًا:

- اسمى (دارك)... رجل أعمال.

تمتم (أشرف):

- وأنا (أشرف)... مهندس كمبيوتر.

رفع (دارك) حاجبيه، وهتف:

- مهندس كمبيوتر؟!.. عظيم!

شعر (أشرف) بالتوتر وفقد شهيته للطعام تمامًا، وإن راح يتناول قطعًا ضئيلة منه، وكأنما يخشى أن يتوقف، فيخرج الأمريكي مسدسه، ويطلق النار على حلقه مباشرة...

وفي صمت، راقبه الأمريكي بنظراته الثاقبة، دون أن يمدّ يده إلى طعامه، ويبدو أنه قد لاحظ اضطرابه الشديد، فقد سأله بغتة:

- ما رأيك، في حادث مصرع تلك السوفييتية؟!

انتفض قلب (أشرف) بين ضلوعه، عندما ألقى الأمريكي السؤال، وارتبك في شدة، وكادت قطعة الطعام تتوقَّف في حلقه، وهو يقول:

- أية سوفييتية؟!

ابتسم الأمريكي ابتسامة خبيثة، تحمل شيئًا من السخرية، وهو يقول:

- (هيلجا)... (هيلجا مينوفيتشي)... التى لقيت مصرعها أمس.

خُيِّل لـ(أشرف) للحظات، أمام عيني (دارك) الثاقبتين، أنه يجلس أمام جهاز بشري لكشف الكذب، ففرّ بعينيه من عيني الأمريكي، وهو يقول:

- يؤسفني مقتلها، فقد كانت جميلة للغاية.

مال الأمريكي نحوه، وهو يقول:

- كانت صديقتك... أليس كذلك؟!

خفق قلبه في عنف، وهو يقول:

- صديقتي! من قال هذا؟!

تراجع الأمريكي مرة أخرى، وحملت ابتسامته الكثير من السخرية، وكأنما يُعلن لـ(أشرف) عدم جدوى الكذب، وهو يقول:

- لقد رأيتكما معًا أمس.

أجابه (أشرف) في عصبية:

- هذا لا يعني أننا صديقان.

قال الأمريكي في هدوء شديد، حمل رنة سخرية واضحة:

- حقًّا.

أسرع (أشرف) يقول متوترًا:

- إنني لم أرَها سوى أمس... جذبتني فتنتها، فتحدَّثت إليها قليلًا، وانصرفت.

قال الأمريكي، وابتسامته تزداد لزوجة:

-ولكن يبدو أنها منحتك ثقتها...

في هذه المرة هوى قلب (أشرف) بين ضلوعه حقًّا...

الأمريكي يشير في وضوح إلى ذلك المظروف...

وإلى علاقته به...

وكان من العسير أن يبتلع (أشرف) لقمة واحدة من طعامه، لذا فقد سعل، وتحشرج صوته، وهو يقول:

- ولماذا تمنحني ثقتها، دون معرفة جيِّدة؟!

هزَّ الأمريكي كتفيه، وقال:

- من يدري؟!... ربما كان أسلوبك ومظهرك يوحيان بالثقة، فلا يتردَّد المرء في تسليمك عنقه، دون خوف، أو في منحك أسراره، أو ...

مال بغتة فوق المائدة، مضيفًا:

- أو أشياءه.

ازدرد (أشرف) لعابه في صعوبة، وقال:

- مثل ماذا؟!

كان من الواضح أنهما يكشفان أوراقهما فوق المائدة، لذا فقد رمقه الأمريكي بنظرة صارمة، وهو يقول:

- خطاب، أو أسطوانة كمبيوتر.

مضت لحظة عجيبة، بدت أشبه بدهر كامل، عندما التقت عيونهما خلالها، في صرامة من الأمريكي، وتوتر شديد من (أشرف)...

هل يخبره؟!...

هل يعترف أن السوفييتية أعطته أسطوانة الكمبيوتر؟!...

هل يسلمه إياها؟!...

لقد أدرك الآن أنها لعبة مخابرات، من ذلك النوع الذي تصفه روايات صديقه (نذير)...

وأنه قد تورَّط فيها، بغير قصد...

ولكن هل يمكنه إنهاؤها، بتسليم الأسطوانة للأمريكي؟!...

من يدري؟!...

ربما اكتفى الأمريكي باستعادة الأسطوانة...

وربما لا...

من أدراه أن الأمريكي لن يسعى للتخلُّص منه، وإزاحته من الطريق، بعد حصوله على الأسطوانة، ليخفي كل أثر خلفه...

لقد قتل (هيلجا) بلا رحمة، على الرغم من حاجته للأسطوانة التي تحملها...

حسم هذا رأيه، فقال للأمريكي في توتر:

- أخشى أنني لا أفهم ما تعنيه يا سيِّدي.

رمقه الأمريكي بنظرة غاضبة طويلة، قبل أن يعتدل، قائلًا في لهجة لا تبعث عن الاطمئنان:

- إذن فأنت لا تفهم ما أعنيه.

ونهض في حركة حادة، مضيفًا:

- حسنًا... أسعدني لقاؤك يا مستر (أشرف).

وغادر حجرة الطعام كلها في خطوات سريعة، تاركًا (أشرف) خلفه، وقد تجمَّدت أطرافه، وراح قلبه يخفق في عنف...

لماذا أوقع نفسه في هذه الورطة؟!..

لماذا تحدَّث إلى تلك السوفييتية اللعينة؟!...

بقي للحظات مُسَمّرًا إلى المائدة، ثم غادرها إلى سطح الباخرة، واستند إلى الحاجز، في نفس الموضع، الذي كان يستند فيه مع (هيلجا) أمس، وراحت أفكاره تنطلق في سرعة...

ماذا ينبغي عليه أني يفعل؟!...

هل يعدم الأسطوانة، وينهي هذا التوتر، أم يحتفظ بها، ويعمل على توصيلها إلى (ناتاليا) تلك، في (إسطنبول)؟!...

ربما يبدو الخيار سهلًا بسيطًا، ولكن من المؤكَّد أن (أشرف) لم يستقرّ على قرار في هذا الشأن، طوال ذلك النهار وهو يقطع سطح الباخرة جيئة وذهابًا دون توقّف، ودون شعور بالعالم الخارجي من حوله...

كل ما كان يملأ رأسه هو الأسطوانة و(هيلجا)...

ولقد انشغل بالبحث عن قرار، حتى أنه فوجئ بغروب الشمس، فتطلَّع إليها في دهشة بالغة، وهو يتمتم:

- ماذا؟!... أأصابني الجنون إلى هذا الحد؟!...

كشف فجأة أنه يشعر بجوع شديد، من فرط الانفعال والحركة، فأضاف وهو يلتقط نفسًا عميقًا:

- الطعام أوّلًا، وبعدها اتخذ ما يحلو لك من قرارات.

اتجه إلى حجرته؛ ليبدل ثيابه أوّلًا، ثم يذهب إلى مطعم الباخرة، ولكنه لم يكد يبلغ الكابينة، ويفتح بابها، حتى تغيّرت

خططه كلها، واتسعت عيناه في خوف ودهشة...

لقد كانت الكابينة مقلوبة رأسًا على عقب...

كل شيء فيها تم تفتيشه في عنف وسرعة...

الفراش، دولاب ملابسه، حقيبته...

كل شيء...

توقف أشرف للحظات، يحدّق في كل هذا في ذهول، ثم لم يلبث أن التفت في حركة حادة إلى الإطار المثبت على الجدار، وهو يقول في توتر:

- الأسطوانة!..

التقط مطواته السويسرية، من بين الأشياء المبعثرة، واندفع في لهفة إلى الإطار، فحل مساميره الحلزونية، من أحد جانبيه، وأزاحه قليلًا؛ ليلقي نظرة خلفه، ثم لم يلبث أن تنهّد في ارتياح...

لقد كان المظروف في نفس موضعه، الذي تركه فيه أمس...

وفي حرص وسرعة أعاد تثبيت الإطار، ثم ألقى نفسه على طرف فراشه...

من الواضح أن الأمريكي لم يكن يمزح...

إنهم يريدون تلك الأسطوانة...

ويريدونها بأي ثمن...

وفي أعماقه شعر بشيء من الارتياح...

لقد فتشوا حجرته، ولم يعثروا عليها، ومن المؤكَّد أن هذا سيزيل الكثير من شبهاتهم حتمًا...

بل سيلغي شكوكهم من أساسها...

ارتاح لهذا الخاطر، فبّدل ثيابه دون أن يهتم بإعادة ترتيب حجرته، وغادر الكابينة في خطوات سريعة، وعبر ممر كبائن الدرجة الأولى إلى السطح، الذي بدا -على عكس الصباح- خاليًا تمامًا من ركَّاب الباخرة، الذين اجتمعوا في المطعم، لتناول طعام العشاء...

وفجأة، ظهر ذلك الأمريكي أمامه...

ظهر بنظرات غاضبة، وملامح صارمة، جعلت (أشرف) ينتفض في عنف، قبل أن يهتف:

- مستر (دارك)... لقد أفزعتني.

لم يحاول الأمريكي الاعتذار، وهو يسأله في غضب مخيف:

- أين الأسطوانة؟!...

تراجع (أشرف)، وهو يقول في خوف:

- أية أسطوانة؟!...

فوجئ بالأمريكي يجذبه من قميصه في غضب، وهو يقول:

- لا تحاول خداعي أيها المصري اللعين... إنني واثق أنك تخفي الأسطوانة.

وعلى الرغم من خوفه، شعر (أشرف) بالغضب، عندما وصفه الأمريكي بالمصري اللعين...

شعر بجرح كبير في كرامته...

جرح أضاع خوفه، وأزاله، وهو يقول للأمريكي في حدة:

- اتركني أيها الأمريكي الوغد... إنني أجهل كل شيء عن تلك الأسطوانة، التي تتحدّث عنها.

ولكن الأمريكي لم يتركه، وهو يقول في حدة:

- كاذب... لقد رأيتها تطرق باب حجرتك، ورأيتك تفتح بابك، وتأخذ منها ذلك المظروف الحقير، ولولا صرختها، التي أيقظت الجميع، لانتزعته من جثتك عنوة، بعد أن قتلتها.

غمغم (أشرف) في ارتياع:

- إذن فأنت الذي قتلها.

صاح به الأمريكي في غضب، وهو يتجاهل عبارته:

- أين الأسطوانة؟!... لمن طلبت منك تسليمها؟!...

تضاعف غضب (أشرف) وثورته، وهو يصرخ في وجهه:

- اذهب إلى الجحيم.

تقافزت شياطين الغضب من عيني الأمريكي، وهو يقول:

- بل أنت أيها المصري... أنت الذي سيذهب إلى الجحيم.

وفجأة أحاطت يد غليظة بفم (أشرف) من الخلف، وكبَّلت ذراع قوية ذراعيه حول وسطه، وانحنى الأمريكي (دارك) يمسك قدميه في سرعة، وحمله شخص قوي، بمعاونة (دارك)، واتجها به معًا، نحو حاجز الباخرة...

واتسعت عينا (أشرف) في ذعر، عندما أدرك ما سيفعلانه به، وحاول أن يصرخ مستنجدًا، ولكن اليد الغليظة كانت تكتم فمه تمامًا، حتى رفعه الرجلان فوق حاجز الباخرة، وسمع المياه

ترتطم بجانبها خلفه، و(دارك) يقول:

- هذا ثمن الأسطوانة.

ثم سقط جسد (أشرف) من الباخرة، وانطلقت من حلقه صرخة ذعر قصيرة، قبل أن يرتطم بالمياه الباردة...

ويغوص...

ويغوص...

ويغوص...

* * *



- ٣ -

الذاكرة

«رجل في البحر...»

انطلقت تلك الصيحة، من فوق برج الباخرة فور ارتطام جسد (أشرف) بمياه البحر، فهتف الأمريكي في حنق:

- اللعنة!

سأله زميله في قلق:

- ماذا سنفعل؟!

أسرع (دارك) يختفي، وهو يقول في سخط:

- وماذا يمكننا أن نفعل؟!

أما (أشرف)، فقد ارتطم جسده بالبحر، وراح يغوص، ويغوص، ويغوص، وراح قلبه ينبض في عنف، وهو يضرب المياه الباردة بذراعيه، محاولًا الصعود إلى السطح، وانتابه ذعر شديد، وسط المياه المظلمة، وهو يتخيل عشرات الوحوش المفترسة، تشق البحر نحوه، وتطبق على ذراعيه وساقيه، وتناهى إلى مسامعه صوت أشبه ببوق قوي، وتناثرت المياه من حوله، ثم أمسك شيئًا ما بذراعه...

وفتح (أشرف) فمه؛ ليطلق صرخة رعب، ولكنه ابتلع الكثير من المياه المالحة، وغمر وجهه ضوء قوي، ثم...

أظلم كل شيء...

ظلام عميق شديد، غاص فيه عقله طويلًا، طويلًا...

ثم خرج منه بغتة...

لم يكن قد فتح عينيه بعد، عندما شعر بجسده يرقد على فراش وثير، وسمع إلى جواره أصواتًا متداخلة، عجز للوهلة الأولى عن تفسيرها، حتى ميَّز بينها صوت القبطان، وهو يقول في غضب:

- لم أعد أدري ما الذي يحدث على سطح هذه الباخرة؟!... في البداية تلقى سوفييتية مصرعها، ثم يُلقي بعضهم شابًا في البحر، ويقلب حجرته رأسًا على عقب!.. أين نحن؟.. في مدينة تسيطر عليها عصابات (المافيا)؟!

سمع صوتًا يجيبه:

- ربما سقط وحده في البحر، أو...

قاطعه القبطان في حدة:

- لا أيها الطبيب.. لقد شاهد أحد بحارتي رجلين حملا ذلك الشاب وألقياه في البحر عنوة، وهذه أحد أعمال العصابات.

ثم اكتسى صوته بالكثير من الصرامة، وهو يضيف:

- ولا بد من معرفة ما يحدث، حتى ولو انتزعت اعترافًا قهريًا من هذا الشاب.

قال الطبيب في توتر:

- لا داعيَ للقسوة عليه، فهو المجني عليه وليس الجاني، ثم إن ذاكرته قد تعاني بعض التدهور، بعد صدمة السقوط في البحر.

وهنا فتح (أشرف) عينيه في بطء، وغمغم:

- أين أنا؟!... من أنا؟!

التفت إليه القبطان والطبيب في آنٍ واحد، ومال القبطان نحوه، وهو يجيب في صرامة:

- أنت هنا في كابينتك... لقد أعدنا ترتيبها، ونقلناك إليها، بعد أن انتشلك بحارتي من البحر... أخبرني: من فعل هذا بكابينتك؟! ومن ألقاك في البحر؟!

أمسك الطبيب كتفي القبطان، وقال:

- رويدك يا سيدي... رويدك...

ولكن (أشرف) تطلَّع إليهما في حيرة، وهو يجيب:

- كابينتي؟!.. البحر؟!.. ومن أتى بي إلى البحر؟!... ماذا حدث؟!

تراجع الطبيب في أسف، وغمغم:

- يا إلهي!!.. لقد فقد الذاكرة.

أما القبطان، فعقد حاجبيه الكثين، وهو يقول:

- أنت مهندس كمبيوتر مصري، تحمل اسم (أشرف حسين)، كما يقول جواز سفرك، وهذه الباخرة تُقلك إلى (إسطنبول)... هل ساعدك هذا على استعادة ذاكرتك؟!

حدَّق (أشرف) في وجهه ببلادة، وتمتم:

- ذاكرتي؟!

بدا مزيج من الغضب والشك على وجه القبطان، وبدا وكأنه سينفجر في وجه (أشرف) في سخط، ولكن الطبيب أمسك ذراع

القبطان في قوة، وهو يقول:

- معذرة يا سيِّدي... إنني أمنعك من استجوابه.

تملّص القبطان من قبضته في حدة، وهو يقول:

- تمنعني؟!... بأي حق؟!... إنني القبطان.

أجابه الطبيب في صرامة:

- وأنا طبيب الباخرة، ومن حقي اتخاذ أية إجراءات لضمان سلامة مرضاي.

كان القبطان يشعر بغضب حقيقي، وبرغبة عارمة في معرفة الحقائق؛ إلا أنه كان يعلم -في الوقت نفسه- أن الطبيب على حق؛ لذا فقد اكتفى بضمّ حاجبيه الكثين، وبإلقاء نظرة غاضبة صارمة على (أشرف)، قبل أن يقول في حدة:

- فليكن... سأترك لك تحديد الوقت المناسب لاستجواب هذا الشاب أيها الطبيب، ولكن فلتعلم، وليعلم هو أيضًا، أنني سأضع حراسة دائمة على هذه الكابينة، ولن أسمح لأحد -سواك- بدخولها أو الخروج منها، حتى نصل إلى (إسطنبول) بعد غد... هل تفهمني؟!

قالها، واندفع مغادرًا الكابينة في عنف، و(أشرف) يتابعه بنظرات تحمل الكثير من الحيرة..

ومن الضياع...

***

التقطت أذنا (دارك) تلك الدقات الخافتة، على باب كابينته،

فهبّ من فراشه، وانتزع مسدسه من جرابه المعلق تحت إبطه، والتصق بالجدار المجاور للباب، وهو يقول:

- من الطارق؟!

أتاه صوت يعرفه جيدًا، يقول:

- أنا (فيليب).

أسرع (دارك) يفتح الباب، فدلف زميله (فيليب) إلى الكابينة في سرعة، وأغلق الباب خلفه في إحكام، وهو يقول:

- إنك تبالغ في الحذر يا صديقي.

أعاد (دارك) مسدسه إلى جرابه، وهو يقول في صرامة:

- هذا أفضل من المبالغة في الاستهتار.

ثم سأل (فيليب) في حزم:

- ماذا عن ذلك المصري؟!... هل أبلغ القبطان ما حدث؟!

هزَّ (فيليب) رأسه نفيًا، وهو يبتسم قائلًا:

- لم يعد بإمكانه أن يفعل.

تطلَّع إليه (دارك) في شك، وهو يقول:

- وكيف؟!

أجابه (فيليب):

- لقد فقد الذاكرة.

التقى حاجبا (دارك)، وهو يردِّد في حذر مرتاب:

- فقد الذاكرة؟!... من أخبرك هذا؟!

أجابه في ثقة:

- مصدر موثوق به.

ظلّ حاجبا (دارك) معقودين في شك، وهو يتطلّع إلى زميله في صمت، ثم لم يلبث أن مطّ شفتيه، واتجه إلى فراشه، فجلس على طرفه لحظات، ثم قال بغتة:

- وما أدراك أنه لا يتظاهر بهذا؟!

هزَّ (فيليب) كتفيه، وقال:

- لا تنسَ أنه ليس محترفًا.

قال (دارك) في حدة:

- حتى الهواة يمكنهم التعامل بشيء من المهارة.

ضحك (فيليب)، قائلًا:

- إنه حتى ليس هاويًا... لقد تورَّط في الأمر، على الرغم منه... أنسيت هذا؟!

ضرب (دارك) قبضته براحته، وهو يقول في حدة:

- ولكن (هيلجا) أعطته الأسطوانة قبيل مصرعها... أنا واثق من هذا، وإنكاره ذلك يزيد من شكوكي نحوه.

عقد (فيليب) حاجبيه بدوره، وقال:

- ولكننا فتشنا كابينته كلها، ولم نعثر على أثر للأسطوانة.

صاح (دارك):

- وهذا ما يحنقني.

صمت (فيليب) لحظة مفكِّرًا، قبل أن يقول:

- ربما تخلَّص منها، خوفًا مما يمكن أن تجره إليه.

التفت إليه (دارك)، يسأله في حذر:

- وكيف تخلَّص منها؟!

أجابه (فيليب)، وهو يلوِّح بكفه في حماس:

- ألقاها في البحر... أنسيت أن لكابينته نافذة على البحر مباشرة؟!

ازداد انعقاد حاجبي (دارك)، وهو يفكِّر في هذا الاحتمال، قبل أن يهزَّ رأسه في قوة، قائلًا:

- لا يمكنني الاستكانة لهذا التفسير دون دليل قوي.

جلس (فيليب) على مقعد وثير مواجه للفراش، وهو يبتسم، قائلًا:

- سأمنحك الدليل بعد يومين فحسب، وقبل أن ترسو الباخرة في (إسطنبول).

سأله (دارك) في اهتمام:

- كيف؟!

اتسعت ابتسامة (فيليب)، وهو يقول في ثقة:

- لديّ وسيلة مضمونة.

ولم يفصح عن وسيلته، ولكن (دارك) كان يدرك أنها -بلا شك- مضمونة...

وحاسمة...

* * *

تطلَّع الطبيب إلى عيني (أشرف) مباشرة، وهو يسأله في صوت عميق:

- ألم تسترجع ذاكرتك بعد؟

هزَّ (أشرف) رأسه نفيًا في حيرة، وأجاب:

– لست أدري بعدُ أي جزء فقدته ذاكرتي، فأنا أذكر جيدًا اسمي وهويتي، وأذكر أنني حجزت كابينة من كبائن الدرجة الأولى على متن هذه الباخرة، لأسافر إلى (إسطنبول)، ولكنني لا أذكر شيئًا بعد هذا، ولا أذكر أنني وقعت في البحر.

ظلّ الطبيب يتطلَّع إليه لحظات في حيرة، ثم تراجع وهزَّ رأسه في أسف، مغمغمًا:

– من الواضح أنك عانيت الكثير.

غمغم (أشرف):

– حقًّا؟!

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا، وقال:

– عقلك الباطن تعرّض لضغوط عنيفة، تفوق قدرتك على الاحتمال، حتى ألقاك بعضهم في البحر، وهنا أصابك نوع من الانهيار النفسي والعصبي، جعل عقلك الباطن يحتفظ وحده بكل الأحداث العصيبة، التي تعرض لها، ويكتمها عن عقلك الواعي، فأصابك فقدان ذاكرة محدود، وهو ما تعاني منه الآن.

قال (أشرف) في حيرة:

– لست أفهم شيئًا!

ابتسم الطبيب، وربَّت على كتفه مشفقًا، وهو يقول:

– لا داعي لأن تفهم... استرخ فحسب... سنبلغ (إسطنبول) فجر الغد... حاول أن تحصل على قدر كاف من

النوم قبل ذلك، فهناك ستنتهي متاعبك كلها.

غمغم (أشرف):

- أتعشم هذا.

منحه الطبيب ابتسامة أخرى مشفقة، وربَّت على كتفه مرة ثانية، ثم غادر الكابينة في هدوء، وعبر ممر الدرجة الأولى بخطوات ثابتة، حتى التقى في نهايته بـ(فيليب)، الذي سأله في اهتمام بالغ:

- ماذا لديك؟!

ابتسم الطبيب، وقال:

- اطمئن... إنه فاقد للذاكرة بالفعل.

أومأ (فيليب) برأسه، وقال:

- هذا أفضل كثيرًا.

ثم أضاف بسرعة:

- ولكننا نحتاج إلى تفتيش الكابينة مرة ثانية.

أجابه الطبيب:

- لقد أعطيته عقارًا منومًا، ويمكنكم تفتيش الكابينة وهو نائم لو تنكرتما في هيئة عمال نظافة، فلقد أخبرت الحارس أن عاملي نظافة سيأتيان بعد قليل.

ابتسم (فيليب)، قائلًا:

- حسنًا فعلت.

ودسّ في يد الطبيب رزمة ضخمة من أوراق النقد الأمريكية، أسرع الطبيب يخفيها في جيب معطفه، وهو يقول:

- لم يكن هناك من داعٍ لهذا يا سيِّد (فيليب)... لم يكن هناك من داع قط.

وأسرع يبتعد، خشية أن يتراجع (فيليب) في منحته... أو رشوته...

***

«أهو نائم حقًّا؟!..».

همس (دارك) بهذه العبارة، وهو يشير بفكه إلى (أشرف)، الذي استغرق في نوم عميق، فقال (فيليب) في حزم:

- إنه كذلك بالطبع... ألم أخبرك أن الطبيب قد أعطاه عقارًا منومًا؟!

رمق (دارك) (أشرف) بنظرة شك أخرى، ثم أسرع يفتش الكابينة في اهتمام بالغ، بمعاونة (فيليب)، وهما يرتديان زى عمال النظافة بالباخرة...

فتشا حقيبة (أشرف)، ودولابه، وملابسه، وحتى أثاث الكابينة القليل، قبل أن يقول (فيليب) مستسلمًا:

- لا يوجد أدنى أثر للأسطوانة.

تمتم (دارك) في حنق:

- وتقول: إنه مجرَّد شخص تورَّط بالأمر؟!

أجابه (فيليب) في حدة:

- أنت تعلم أنه كذلك.

وفجأة هتف (دارك):

- يا للشيطان!

سأله (فيليب) في قلق:

- ماذا حدث؟

أجابه (دارك)، وهو يخرج من جيبه مطواة سويسرية، شبيهة بمطواة (أشرف):

- هذا الإطار هناك.. إنه يصلح كمخبأ رائع.

اندفع نحو الإطار، وحلّ مساميره الحلزونية في سرعة، وانتزعه من مكانه، ثم عقد حاجبيه في غضب، متمتمًا:

- اللعنة!

أما (فيليب)، فقال في صرامة:

- لا يوجد أى شيء خلف الإطار.. هيا.. أعده إلى مكانه، ولنغادر هذه الكابينة.

أعاد (دارك) الإطار إلى مكانه، وربط مساميره الحلزونية مرة أخرى في إحكام، وهو يغمغم قائلًا:

- إذن فقد تخلّص منها.. التفسير الوحيد هو أنه قد فعل.

والتفت إلى زميله، مستطردًا:

- هيا بنا... لم أعد أطيق البقاء هنا لحظة واحدة.

غادرا الكابينة معًا، وأغلقا بابها خلفهما في حنق...

وهنا...

هنا فقط، فتح (أشرف) عينيه...

فتحهما في بطء وحذر، وأدارهما في الكابينة الصغيرة في سرعة، ثم اعتدل جالسًا، وهو يبتسم في خبث...

لقد نجحت خطته...

نجحت فكرة فقدان الذاكرة المزعومة هذه، في أن تنقذه من بطش الأمريكيين، ومن محاولة ثانية للتخلّص منه، وإلقائه في البحر...

وفي نشاط غادر فراشه، وأخرج مطواته السويسرية، وراح يحل المسامير الحلزونية، التي تربط القائم الخلفي بالفراش...

لقد توقع محاولة التفتيش الثانية هذه...

توقع أن يلجأ الأمريكيون إلى تفتيش كابينته مرة أخرى، قبل أن يعلنوا فشلهم، في استعادة أسطوانة الكمبيوتر...

وفي حرص وحذر، أخرج أسطوانة الكمبيوتر من تجويف صغير، بين القائم والفراش، ثم أعاد ربط القائم جيدًا، وحمل الأسطوانة إلى حقيبته، ووضعها فيها وسط ثيابه بكل ثقة واطمئنان...

إنهم لن يفتشوا أمتعته مرة ثالثة...

لا يمكن أن يفعلوا هذا بالتأكيد...

وفي ثقة لا حد لها، عاد إلى فراشه، واستغرق في نوم عميق...

نوم حقيقي هذه المرة...

ولم يكن يدرك، وهو غارق في النوم، أن مغامرته الحقيقية لم تنتهِ، وهو يقترب من العاصمة التركية.

إنها تبدأ هناك...

في (إسطنبول).

* * *

- ٤ -

إسطنبول

كانت توقعات الطبيب صحيحة، فقد رست الباخرة في الميناء، فجر اليوم التالي، وغادرها كل ركابها، فيما عدا (أشرف) الذي استقبله القبطان في مكتبه، وظلّ يرمقه لحظات بنظرات صارمة صامتة، قبل أن يقول:

- أواثق أنت من أنك لم تستعد ذاكرتك بعد، يا سيِّد (أشرف)؟!

هزَّ (أشرف) رأسه في بطء وهدوء، وأجاب:

- لا... ليس بعد يا سيِّدي القبطان.

عاد القبطان يرمقه بنظراته الصارمة الغاضبة، قبل أن يقول:

- اسمع يا سيِّد (أشرف)... أصارحك القول بأنني لا أثق في قصة فقدانك للذاكرة هذه، وأصر على أنك تحاول بها إخفاء بعض الأمور المريبة، وربما بعض الأشياء المنافية للقانون، ولكنني -للأسف- لا أملك توجيه أي اتهام لك، حتى تهمة محاولة الانتحار، بعد أن رأى بحارتي رجلين، يلقيانك في البحر عنوة، ولذلك فسأتظاهر بتصديق فقدان الذاكرة المحدود الذي تعاني منه، وسأسمح لك بمغادرة الباخرة إلى (إسطنبول).

وارتفعت حدة حديثه بغتة، وهو يتابع:

- ولكنني أمنعك منعًا باتًّا من وضع قدمك على باخرتي مرة أخرى؛ وإلا فإن رجالي أنفسهم هم الذين سيلقون بك في البحر هذه المرة، وعندئذ لن تجد من ينقذك من الغرق... هل تفهمني؟!

تمتم (أشرف) في خوف:

- أفهمك.

ثم حمل حقيبته، مستطردًا:

- والآن هل تسمح لي بالانصراف؟!

صاح القبطان في وجهه:

- اذهب... اذهب قبل أن ألقي بك خارجًا... هيا.

أسرع (أشرف) يغادر الباخرة، وينهي إجراءاته الجمركية، ثم غادر الميناء كله إلى العاصمة التركية..

إلى (إسطنبول)...

وفي ارتياح، استنشق دفعة كبيرة من الهواء في عمق، ثم زفرها في قوة، وابتسم ابتسامة عريضة، وهو يتمتم:

- أخيرًا.

اندفع في حماس، يقطع شوارع (إسطنبول)، حاملًا حقيبته، وهو يتطلّع إلى كل ما حوله في شغف وانبهار...

تمامًا كما كان يتوقَّع...

مزيج رائع من الغرب والشرق، في مكان واحد...

البيوت والمنازل ذات الطراز العربي الإسلامي العريق، جنبًا إلى جنب مع البنايات الحديثة الشاهقة، والطرز المعمارية الأوروبية العصرية...

حتى البشر، يرتدون خليطًا من الثياب العربية والأوروبية...

وفي حماس، استوقف (أشرف) سيارة من سيارات الأجرة، وهتف لسائقها، وهو يقفز داخلها:

- (هيلتون إسطنبول)...

كان قد قرَّر قضاء إجازته كأفخم ما يكون، حتى ولو أنفق فيها مدخراته كلها، فاسترخى في الأريكة الخلفية لسيارة الأجرة وهو يبتسم في نشوة، ويتخيل أيامه الجميلة في (إسطنبول)، و...

وفجأة تذكَّر الأسطوانة...

تذكَّر (هيلجا)، وكل الحوادث التي جلبتها إليه، بتلك الأسطوانة التي أعطته إياها...

وذهبت نشوته دفعة واحدة، وهو يعتدل، ويتحسَّس حقيبته في اهتمام، ثم يفتحها في حذر، ويدسّ يده داخلها، ليتأكَّد من وجود أسطوانة الكمبيوتر داخلها، ويتنفس الصعداء، على نحو جعل السائق يسأله بالإنجليزية:

- أيضايقك شيء يا سيِّدي؟!

هزَّ (أشرف) رأسه نفيًا، في عنف بلا مبرر، وهو يجيب:

- مطلقًا...

ثم قفزت إلى ذهنه فكرة، جعلته يضيف في اهتمام:

- أجبني يا رجل... أيمكنني استئجار جهاز كمبيوتر هنا؟!

لم يكد يلقي سؤاله، حتى بدا له سخيفًا باهتًا، فهمّ بالاعتذار عنه، لولا أن أجاب السائق في بساطة:

- من أي طراز؟!

شعر (أشرف) بالارتياح للجواب، فاعتدل يقول:

- أي طراز شائع... فليكن (آي. بي. إم) مثلًا.

ابتسم السائق، وهو يقول:

- لن تجد صعوبة إذن.

هتف (أشرف) في لهفة:

- أتوجد جهات عديدة لاستئجاره هنا؟!

أجابه السائق:

- بل توجد في (هيلتون إسطنبول) قاعة خاصة لأجهزة الكمبيوتر من هذا الطراز؛ لخدمة رجال الأعمال، ويمكنك استئجار أي جهاز منها، لو أنك تملك المال اللازم.

وكانت أفضل عبارة سمعها (أشرف)، منذ صعد إلى الباخرة، في طريقه إلى (إسطنبول)...

والواقع أنه لم يضيع لحظة واحدة بعد هذا...

لم يكد يستأجر حجرة مناسبة بالفندق، حتى سأل موظف الاستقبال:

- أيمكنني استئجار جهاز كمبيوتر، في قاعة رجال الأعمال؟!

أجابه الموظف:

- يمكنك هذا بالطبع يا سيِّدي، مقابل ألفي ليرة للساعة الواحدة.

ودون تردد، استأجر (أشرف) أحد أجهزة الكمبيوتر، وحمل

الأسطوانة التي أعطته إياها (هيلجا) قبيل مصرعها، وأخرى خالية لنسخها، واتجه إلى قاعة رجال الأعمال، ودسّ الأسطوانة الفارغة في الفراغ السفلي للجهاز، والثانية في الفراغ الذي يعلوه، ثم ضغط زر التشغيل بالجهاز، وهو يقول لنفسه:

- فلنرَ أوَّلًا ما تحويه هذه الأسطوانة اللعينة، التي كدت ألقى مصرعي بسببها.

أضيئت شاشة الجهاز، وظهرت صورة لمطار حربي، فهتف (أشرف):

- يا إلهي... إذن فهي صور سرية لمطارات حربية، و...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه في دهشة، عندما رأى إحدى طائرات المطار ترتفع أمامه، وفوقها عبارة تشير إلى بدء اللعبة، وترشده إلى الأزرار التي ينبغي استخدامها لتحريك الطائرة في كل الاتجاهات، وإطلاق نيران مدفعها على الأجسام المختلفة، التي ستهاجمها..

وفي ذهول حائر، بدأ (أشرف) يضغط الأزرار...

وانطلقت الطائرة...

ولثوان، راح (أشرف) يختبر الأزرار، والطائرة تستجيب لضغطاته، فتميل يمينًا أو يسارًا، أو ترتفع وتنخفض، وتطلق نيران مدافعها على أهدافها، فهتف في دهشة:

- عجبًا!!.. إنها مجرَّد لعبة من ألعاب الفيديو والكمبيوتر!!

اعترف في قرارة نفسه، أن هذه اللعبة أكثر إتقانًا في وضوحها

واستجابتها، من كل ألعاب الفيديو، التي رآها في حياته كلها، ولكن هذا لم يمنع من كونها مجرَّد لعبة...

وفي عناد، راح يواصل اللعبة، ويتفادى الأبنية التي تعترض الطائرة، وهو يطلق نيرانها على كل ما يقابلها أو يواجهها من طائرات للعدو الوهمي، أو أجسام أخرى مجهولة...

ولكن هذا لم يوصله إلى شيء...

وفي سخط هتف:

– ما الذي تخفينه، أيتها اللعبة اللعينة؟!

فوجئ بفوهة مسدس باردة تلتصق بظهره، عند منتصف عاموده الفقري تمامًا، مع صوت خشن، يقول في صرامة:

– لا تُقلق نفسك يا سيِّد (أشرف)، واترك لنا مهمة كشف هذا.

تجمَّدت أطرافه في رعب، وهو يقول:

– أهو أنت يا مستر (دارك)؟!

تخلّى عن طائرة اللعبة، من شدة فزعه، ورآها ترتطم بأحد الأبنية، فيصدر عن الكمبيوتر صوت انفجار معدني، وبعدها تملأ شاشته عبارة استفزازية، تقول:

– انتهى الدور.

وفي سخرية شرسة، ابتسم (دارك)، وقال:

– نعم... هو أنا يا سيِّد (أشرف)... كنت أعلم أنك تخفي الأسطوانة في مكان ما، وأن فقدانك الذاكرة هذا ما هو إلا

خدعة سخيفة.

لم ينبس (أشرف) ببنت شفة، وإنما أغلق جهاز الكمبيوتر في توتر بالغ، وسمع (دارك) يقول في شراسة، وهو يضغط فوهة المسدس بظهره في عنف:

- والآن هل تعطيني الأسطوانة في هدوء، أم تفضل أن تخترق رصاصتي ظهرك؟!

أزاح (أشرف) رتاج تجويف الأسطوانات، وانتزع أسطوانة، وأدار يده بها خلف ظهره إلى (دارك)، وهو يقول:

- ها هي ذي.

التقط (دارك) الأسطوانة في لهفة، ودسَّها في جيبه، وهو يقول بنفس الشراسة:

- رائع يا مستر (أشرف).. لقد فعلت الصواب ولا شك، والآن، والآن اصحبني إلى الخارج.

سأله (أشرف) في توتر عصبي:

- ولكن لماذا؟!... لقد أعطيتك الأسطوانة.

قال (دارك) في صرامة:

- لا تسأل يا مستر (أشرف)... لا تسأل.

ترك (أشرف) مكانه، وسار معه حتى مدخل قاعة الكمبيوتر، وهناك قال (دارك):

- صدقني أنني كنت أتمنى قتلك يا مستر (أشرف)، لولا رغبتي في ادخار ثمن الرصاصة، التي تبتاعها الإدارة من أموال

دافعي الضرائب في دولتي.

ثم اندفع فجأة مبتعدًا، وهو يعيد مسدسه إلى جرابه تحت إبطه، ولم يلبث أن غاب عن عيني (أشرف)، الذي قال في سخرية:

- خسرت أيها الغبي.

واستدار عائدًا أدراجه في سرعة، وابتسم في ارتياح، عندما وجد الأسطوانة الأصلية مستقرة في موضعها، في جهاز الكمبيوتر، فتمتم:

- ترى ماذا ستفعل يا مستر (دارك) عندما تكتشف أنك لم تحصل مني إلا على أسطوانة رخيصة فارغة؟!

انتزع الأسطوانة الأصلية، ووضعها في جيبه، وهو يستطرد في همس:

- أظن أفضل ما يمكن عمله الآن، هو التخلّص من هذه الأسطوانة اللعينة.

غادر فندقه، واستوقف سيارة أخرى من سيارات الأجرة، قال لسائقها، وهو يجلس في أريكتها الخلفية:

- فندق (أتاتورك).

سأله السائق في تكاسل:

- أي فندق منها؟... هناك خمسة فنادق على الأقل، تحمل اسم (أتاتورك).

أجابه في ضيق:

- ذلك الموجود في الحي الغربي... وبسرعة.

قال السائق:

- فليكن.

وانطلق بالسيارة في حدة مباغتة، جعلت ظهر (أشرف) يرتطم بمسند الأريكة، فيهتف في حنق:

- ليس بهذه السرعة.

خُيل إليه أن السائق لا يسمعه، وهو يميل على عجلة القيادة، وكأنه يحتضنها، وينطلق بالسيارة في سرعة كبيرة، تكفي في القاهرة، لإثارة سخط حي بأكمله، فزفر في توتر، واكتفى بمحاولة الاسترخاء في الأريكة، وهو يفكِّر في أعماقه ...

ترى أيسير في الطريق الصحيح؟!...

هل اختار الملعب المناسب؟!...

من الواضح أنه صراع مخابرات أمريكي سوفييتي، فلماذا ترك نفسه يتورَّط فيه، إلى هذا الحد؟!...

لِمَ لم يتخلص من هذه الأسطوانة اللعينة، أو يعدمها، وينتهي كل شيء؟!...

لم حتى لا يسلمها إلى الأمريكيين؟!...

درس الفكرتين في رأسه باهتمام، ولكنه لم يلبث أن استبعدهما في سرعة؛ فلقد كان فضوله يلتهب، لمعرفة السر الخفي، الذي تحتويه أسطوانة كمبيوتر صغيرة كهذه...

أي لغز يختفي داخل لعبة؟!...

وفجأة قفز إلى ذهنه خاطر عجيب...

ماذا لو أن الأسرار، التي تخفيها هذه اللعبة، تسيء إلى بلده هو؟!...

إلى (مصر)؟!...

ماذا لو أنه يضرّ بلاده بفعلته هذه؟!...

لم يحصل عقله -للأسف- على وقت كاف، لدراسة هذا الاحتمال الجديد، فلم يكد يرد بذهنه، حتى توقَّف السائق بحركة حادة، وقال في شيء من الزهو:

- فندق (أتاتورك) يا سيِّدي.

غادر (أشرف) سيارة الأجرة، بعد أن نقد السائق أجره مضاعفًا، واتجه إلى فندق (أتاتورك) في تردُّد، حتى وجد نفسه داخله، وموظف الاستقبال يسأله:

- أيرغب السيِّد في حجرة، أم في جناح فاخر؟!

ارتبك وهو يقول:

- بل إنني أبحث عن شخص يقيم هنا.

سأله موظف الاستقبال في اهتمام:

- من هو يا سيِّدي؟!

أجابه في تردد:

- إنه شخص سوفييتي... أعنى فتاة سوفييتية، تحمل اسم (ناتاليا)، و...

ابتسم موظف الاستقبال، وهو ينظر إلى شخص ما خلف (أشرف)؛ مما دفع هذا الأخير إلى أن يلتفت بدوره، إلى حيث ينظر الموظف...

وهنا اتسعت عيناه عن آخرهما، وسقط فكه السفلي...

لقد كان ما أمامه مذهلًا..

مذهلًا بحق.

* * *



- ٥ -

ناتاليا

لم يستطع (أشرف) النطق للحظات طوال، وهو يحدِّق في وجه السوفيتية الشقراء، التي تقف أمامه، متطلّعة إليه في حذر وتساؤل، حتى قال موظف الاستقبال بالإنجليزية:

- آنسة (ناتاليا)... هذا الشاب يطلب مقابلتك.

انتفض (أشرف) عند سماعه العبارة، كمن يستيقظ من حلم عميق، في حين انعقد حاجبا الفتاة، وهي تتطلَّع إليه في حذر، قائلة:

- هل طلبت مقابلتي حقًّا؟!

انتزع نفسه من ذهوله، وهو يهتف:

- (ناتاليا) ؟!... ولكنك (هيلجا)... (هيلجا) بشحمها ولحمها، و...

ارتسمت على شفتي الفتاة ابتسامة باهتة، وهي تقول:

- آه... هل تعرف (هيلجا)؟!... لقد فهمت سر ذهولك إذن؛ فأنا و(هيلجا) توأمتان متماثلتان، ولن تجد بيننا فارقًا واحدًا.

ردَّد في دهشة:

- توأمتان؟!

ثم استعاد سيطرته على أعصابه، وتنحنح قبل أن يضيف:

-ولكن للأسف يا آنستي... لقد أصبح هناك فارق جوهري، بينك وبين (هيلجا).

عاد الحاجبان الجميلان ينعقدان، والفتاة تقول:

- أي فارق هذا؟!

ارتبك للحظة، وهو يتطلَّع إلى العينين الزرقاوين اللتين تحملان مزيجًا عجيبًا من القلق والتساؤل والخوف، ثم حسم أمره، وقال في خفوت:

- أنت على قيد الحياة.

اتسعت عيناها في ذعر، ثم ارتجفت شفتاها الجميلتان، وترقرقت في عينيها دمعة كبيرة، وهي تقول في هلع:

- هل تعني أن (هيلجا) قد... قد...

لم تستطع إتمام عبارتها، فغمغم هو، وهو يشعر نحوها بعطف كبير:

- آسف.

ترنحت كالمصدومة، وبدت وكأنها ستسقط فاقدة الوعي، ولكنها لم تلبث أن تماسكت، وسيطرت على نفسها تمامًا؛ حتى أن تلك الدمعة الكبيرة قد ذابت في عينيها، وانتقلت إلى صوتها، وهي تقول:

- إذن فقد قتلوها!.

رفع حاجبيه في دهشة...

كيف عرفتْ أنها قتلت؟!...

لماذا لم تفترض موتًا طبيعيًّا؟!...

كاد يسترسل في أفكاره وتساؤلاته، ولكنه فوجئ بها تسأله:

- من أنت؟!... ولماذا أتيت لمقابلتي؟!...

تطلَّع إليها في دهشة، ورأى عينيها تتفرسان في وجهه، وسمعها تضيف في حزم عجيب، قبل أن يُجيب أسئلتها:

- إنك تتحدَّث الإنجليزية بطلاقة، وبلهجة أمريكية واضحة، ولكنك لست أمريكيًّا... أليس كذلك؟!

غمغم:

- بلى.

ثم قصّ عليها في اختصار ما حدث له، منذ التقى بشقيقتها، وحتى وصوله إليها، دون إغراق في التفاصيل، واستمعت إليه هي في اهتمام شديد، ثم عادت الدموع تترقرق في عينيها، وهي تغمغم:

- مسكينة (هيلجا)... لقد قتلها هؤلاء الأوغاد.

سألها (أشرف) في انفعال:

- إنها حرب مخابرات... أليس كذلك؟!

تجاهلت سؤاله تمامًا وهي تمسح دمعة حارة، نجحت في الفرار من عينيها، وتسأله بنفس اللهجة الحازمة العجيبة:

- وأين تلك الأسطوانة؟!

أجابها في صرامة، وهو يتطلَّع إلى عينيها مباشرة:

- إنني أحتفظ بها، ولن أسلِّمها لك قبل أن أعرف محتواها بالتحديد.

هزَّت كتفيها، وهي تجيب:

- ألم تختبرها بنفسك، كما أخبرتني؟!... إنها -كما رأيت- تحوي لعبة من ألعاب الكمبيوتر فحسب.

قال في غضب:

- أتتصوَّرين أنه من السهل خداعي إلى هذا الحد؟!... هذه ليست مجرَّد لعبة حتمًا، فلن يتقاتل الأمريكيون والسوفييت، ويقتل بعضهم بعضًا، من أجل لعبة فيديو أو لعبة كمبيوتر.

تطلَّعت إليه لحظات في صمت، ثم تراجعت في مقعدها، وسألته في هدوء:

- هل سمعت عما يعرف باسم (التجسس الصناعي) يا سيد (أشرف)؟!

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

- نعم... سمعت عن هذا التجسس الصناعي، وأعرف أنه يكاد ينافس أعمال الجاسوسية المعروفة، ولست أظن ما يحدث نوعًا من هذا التجسس الصناعي.

أجابته في هدوء:

- بل هو كذلك بالفعل يا سيد (أشرف)، فلو أنك راجعت اللعبة مرة أخرى، فستجد أن الصور بها واضحة للغاية، ومماثلة تمامًا للواقع، كما أن استجابة الطائرة في اللعبة مثالية وسريعة، على نحو لم تعهده من قبل في ألعاب الكمبيوتر، وهذا يعتمد على برنامج كمبيوتر جديد، سيحقِّق للشركة التي تنتجه أرباحًا

طائلة، قد تبلغ مئات الملايين من الدولارات، ألا يستحق هذا المبلغ -في رأيك- الصراع والتقاتل والقتل؟!

صمت وهلة في شك، وهو يتطلَّع إليها، قبل أن يقول في حزم:

- بلى... إنه يستحق، في نظر أي مجرم منعدم الضمير، وعلى الرغم من هذا، فلست أصدِّق حرفًا واحدًا من قصتك هذه.

سألته في دهشة:

- ولماذا؟!

أجاب في صرامة:

- لأن (الاتحاد السوفييتي) لا ينتج ألعاب الكمبيوتر، ليتقاتل من أجلها.

ابتسمت قائلة:

- ومن قال لك إنني أعمل لحساب (الاتحاد السوفييتي)؟!... صحيح أنني و(هيلجا) مولودتان هناك، ولكننا نجحنا في الفرار إلى (أوروبا) الغربية منذ عدة أعوام، ونعمل لحساب شركة كمبيوتر بريطانية شهيرة، كلفتنا بإحضار هذه اللعبة الجديدة، حتى ينجح خبراؤها في إنتاج هذا البرنامج الجديد، قبل أن ينتجه الأمريكيون.

كانت تتحدَّث بلهجة مقنعة، وعلى الرغم من هذا، فلم يفارقه الشك أبدًا، وهو يتطلَّع إليها، قبل أن يقول:

- لا بأس.

بدا الارتياح على وجهها، وهي تقول:

- هل ستعطيني الأسطوانة الآن؟!

كان هناك شيء ما في أعماقه يدفعه إلى رفض منحها الأسطوانة، ولكن عقله وجد من غير المنطقي أن يظل محتفظًا بها، لو أنها مجرَّد لعبة من ألعاب الكمبيوتر، كما تؤكِّد له (ناتاليا)، لذا فقد أخرج الأسطوانة من جيبه، وناولها لها، قائلًا:

- ها هي ذي.

اختطفتها منه في لهفة، أعادت إليه كل شكوكه، وهي تقول، متجاوزة الألقاب:

- أشكرك يا (أشرف)... أشكرك كثيرًا.

ثم نهضت مستطردة في عجلة واضحة:

- معذرة... سأضطر للانصراف، فمن الضروري أن أرسل هذه الأسطوانة عبر الهاتف، إلى الشركة في (لندن).

وابتعدت نحو مصعد الفندق في خطوات واسعة سريعة، وسرعان ما اختفت داخل المصعد، فمطّ هو شفتيه، وغمغم:

- فليكن... لقد انتهت المغامرة هنا... وهذا أفضل.

نهض يغادر المكان، وهو يشعر بخواء عجيب، وكأنما فقد شيئًا أساسيًّا في حياته، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه، قائلًا لنفسه:

- لماذا تشعر بالضيق يا رجل؟!... لقد أزحت عن كاهلك حملًا ثقيلًا...

ولكن فجأة شعر بفوهة مسدس تلتصق بظهره، مع صوت أمريكي غليظ، يقول في خشونة وجفاء:

- تقدم أمامي أيها المصري، وإلا زينت ظهرك بثقب كبير.
ارتجف قلبه في خوف، وهو يقول:
- ماذا تريد مني يا رجل؟!
دفعه صاحب المسدس في غلظة، وهو يقول:
- قلت تقدم أمامي فحسب.
سار أمامه مستسلمًا، وهو يشعر بمزيج من الخوف والقلق، حتى بلغا سيارة أمريكية سوداء ضخمة، انفتح بابها الخلفي فور وصولهما، فدفعه الأمريكي داخل السيارة، وأغلقها خلفه في قوة...
وفي الداخل استقبلته فوهة مسدس أخرى...
فوهة ضخمة مخيفة، يظهر خلفها وجه صارم نحيل مخيف، يحدِّق فيه بعينين حادتين قاسيتين، في حين يجلس إلى جواره (دارك)، بفكه العريض وجسده القوي، وهو يبتسم ابتسامة صفراء عصبية، وهو يقول:
- مرحبًا يا مستر (أشرف).
جلس (أشرف) إلى جوار (دارك)، وهو يغمغم في توتر:
- أهلًا يا مستر (دارك)... يؤسفني أننا لم...
قاطعه (دارك) في حدة واضحة:
- من الواضح أنك تميل إلى الدعابة والمزاح يا مستر (أشرف).
لم ينبس (أشرف) ببنت شفة، واكتفى بصمت عصبي مضطرب، وهو يتطلَّع إلى (دارك)، الذي أخرج من جيبه الأسطوانة الفارغة، مستطردًا:

- هذه تثبت ذلك.

ازدرد (أشرف) لعابه، دون أن يعلِّق بحرف واحد، فحطَّم (دارك) الأسطوانة في عصبية غاضبة، وهو يضيف:

- هل لك أن تخبرني، لماذا تفعل هذا بحق الشيطان؟!

استجمع (أشرف) أعصابه، وقال:

- مستر (دارك)... ينبغي أن تدرك، أنه لا شأن لي بكل هذا الـ...

قاطعه (دارك) في ثورة:

- لا شأن لك؟!... أي قول سخيف هذا يا مستر (أشرف)؟ لقد خدعتنا في الباخرة، وأخفيت الأسطوانة في براعة، وتظاهرت بفقدان الذاكرة، ثم أتيت لزيارة تلك السوفييتية اللعينة، فماذا يكون هذا، لو لم يكن لك شأن بكل ما يحدث؟!

ازدرد (أشرف) لعابه مرة أخرى، وقال:

- فضول يا مستر (دارك)... مجرَّد فضول.

صرخ (دارك):

- فضول غبي.

ثم انتزع مسدسه، في حركة مباغتة سريعة، وألصقه بصدغ (أشرف)، مستطردًا في ثورة:

- ويستحق القتل.

شحب وجه (أشرف) في شدة، وهوى قلبه بين قدميه، وانحبست الكلمات في حلقه، دون أن ينبس ببنت شفة، وخيل

إليه أن حياته قد انتهت عند هذه اللحظة، وأن (دارك) لن يتردَّد لحظة في تحطيم جمجمته برصاصة مباشرة، ولكنه وجد (دارك) يسأله في غضب:

- أين الأسطوانة الحقيقة؟!

أجابه (أشرف) في صعوبة:

- معها.

صاح به (دارك):

- مع من؟!

أجابه (أشرف) في انفعال:

- مع (ناتاليا).. لقد أعطيتها إياها منذ لحظات.

صرخ (دارك) في جنون:

- أعطيتها إياها؟!

ثم جذب إبرة مسدسه، مستطردًا في ثورة:

- أنت تستحق القتل إذن... تستحقه عن جدارة.

وخفق قلب (أشرف) في ارتياع...

* * *

أسرعت (ناتاليا) إلى حجرتها، وأغلقتها خلفها بإحكام، ثم التقطت سمَّاعة الهاتف، وطلبت رقمًا طويلًا، وجلست تستمع إلى ذلك الإيقاع المنتظم، الذي أصدره الهاتف، ثم قالت في سخط:

- تلك الهواتف التركية اللعينة.

ثم جذبت حقيبة صغيرة، ورفعتها إلى جوار الهاتف، وفتحتها،

فظهر داخلها كمبيوتر صغير، دسّت الأسطوانة في تجويفه، ثم ضغطت أزرار تشغيله، وألقت نظرة على شاشته، وقالت:

- إنها هي... المهم أن يتم الاتصال، لنقلها إلى الرؤساء.

عاودت الاتصال مرة أخرى، وسمعت الإيقاع المنتظم مرة أخرى، فهتفت:

- يا للسخافة!

أعادت سمَّاعة الهاتف إلى موضعها، وانهمكت في توصيل الكمبيوتر بالهاتف، بوساطة جهاز بسيط، ثم تراجعت خطوة، لتلقى نظرة على عملها، وقالت:

- كل شيء على ما يرام.

وعادت ترفع سمَّاعة الهاتف مرة أخرى، وتطلب الرقم نفسه..

وفي هذه المرة كان هناك رنين واضح، فابتهجت ملامحها، وغمغمت:

- أخيرًا...

ثم أتاها صوت رخيم، يقول بالسوفييتية:

- هنا الشركة البريطانية لأعمال الكمبيوتر، والـ...

قاطعته في لهفة:

- إنه أنا يا (نيكولاي)... (ناتاليا)... لقد حصلت على الأسطوانة.

ثم اكتست ملامحها بالحزن، وهي تستمع إليه، قبل أن تجيب:

- لا... لقد لقيت (هيلجا) مصرعها... سأخبرك فيما بعد كيف حصلت على الأسطوانة... المهم الآن أن تعد الجهاز لاستقبال محتوياتها، فسأرسلها لك على الفور.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن تقول:

- هل انتهيت؟!... رائع يا عزيزي (نيكولاي)... استعد لاستقبال أعظم رسائل العمر.

ألصقت الجهاز بالهاتف، ثم مدت يدها لتضغط زر تشغيل الكمبيوتر، و...

وفجأة شعرت بذلك القادم من خلفها...

وقبل أن تلتفت، كان حبل رفيع يحيط بعنقها...

ثم جذب أحدهم الحبل من طرفيه...

ووجدت (ناتاليا) نفسها تختنق...

وتختنق...

وتختنق...

بلا رحمة.

* * *

- ٦ -

العنف

كان الموت آتيًا لا محالة...

ضغطة واحدة من سبَّابة (دارك) الغليظة على زناد مسدسه الضخم، وتنطلق رصاصة واحدة، لا يتجاوز ثمنها عدة سنتات أمريكية، فتنفجر جمجمة (أشرف)، ويتناثر مخه داخل السيارة الفاخرة...

ولم يكن (دارك) بالرجل المرهف الحس، الذي يتوانى عن إطلاق النار...

لقد كان رجلًا ثائرًا، غاضبًا، منفعلًا، و...

ولكن زميله النحيل أمسك معصمه في اللحظة الأخيرة، وهو يقول في صرامة:

- مهلًا يا (دارك).

صاح (دارك) في غضب، وهو يدفع يد زميله في عنف:

- ماذا فعلت يا (توم)؟!... كيف جرؤت على منعي من قتل ذلك الحقير؟!

أجابه (توم) بنفس الصرامة.

- ليس هنا.

هوى قلب (أشرف) أكثر وأكثر، وهو يسمع (توم) يستطرد:

- مسدسك ليس مزوَّدًا بكاتم للصوت، كما أن الرصاصة ستعبر جمجمته، وتحطم نافذة من نوافذ السيارة، ونحن لا نريد إثارة متاعب مباشرة هنا.

خُيل لـ(أشرف) لحظة، أن (دارك) سيتجاهل تحذير (توم)، وسيطلق النار على جمجمته، على الرغم من كل شيء، إلا أن الأمريكي لم يلبث أن خفض فوهة مسدسه، وهو يقول:

- فليكن.

ثم أضاف في حدة.

- فلنبتعد إلى منطقة هادئة، ونقتله هناك.

وهنا لم يعد باستطاعة (أشرف) أن يظل مستسلمًا على هذا النحو...

لقد جمَّده الخوف في مكانه، ولكن الأمل في النجدة دغدغ حواسه الآن، ويدفعه إلى إتيان أي عمل أحمق، بعد أن خفض (دارك) مسدسه...

إنه لن يسمح لهم بحمله إلى منطقة أخرى، وقتله بكل سهولة، كما لو كان قطًّا ضالًّا...

وفجأة ضرب (أشرف) مسدس (دارك) الذي هتف في سخط:

- ماذا تفعل أيها الـ...

قبل أن يتمّ عبارته، كان (أشرف) يفتح باب السيارة في حركة حادة عنيفة، جعلت الباب يرتطم بالأمريكي الثالث،

الذي يقف خارج السيارة للحراسة، فيدفعه جانبًا قبل أن يقفز (أشرف) خارج السيارة الضخمة، وينطلق راكضًا إلى وسط الحي التجاري الغربي المزدحم...

وصرخ (دارك) في غضب:

- الْحَقْ به يا (ميل)... اقتله...

ولم يُضع الحارس الضخم ثانية واحدة...

لم يكد يسمع الأمر الصادر من (دارك) حتى اندفع خلف (أشرف) بلا تردد...

ولكن (أشرف) أيضًا سمع الأمر، وأدرك أن وحشًا بشريًّا مفترسًا يطارده...

وبلا رحمة...

وكانت مطاردة عجيبة، وسط ممر ضيق طويل، تحتشد (البازارات) المختلفة على جانبيه، ويزدحم بما يفوق طاقته من البشر، من مختلف الجنسيات...

وبكل صعوبة، راح (أشرف) يشق طريقه وسط الزحام، ويدفع جسده بين الأجساد المتلاصقة وقلبه ينبض في عنف، والخوف يملؤ كل خلية من خلاياه...

ثم لاح له مخرج الممر قريبًا، فزاد من سرعته، مستخدمًا كل قوته، متجاهلًا أية قواعد معروفة للذوق واللياقة، فأخذ يزيح كل من يعترض طريقه في غلظة وعنف، ويصمّ أذنيه عن عبارات الاحتجاج والسخط والاستنكار، حتى بلغ المخرج،

فاندفع عبره إلى الطريق الواسع، وهو يهتف:

- حمدًا لله.

ولكن فجأة، اندفع (ميل) أمامه، وكأنه نبت من الجحيم، واعترض طريقه، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة شامتة ظافرة، قائلًا:

- مرحبًا أيها المصري.

وقبل أن يتراجع (أشرف) كان (ميل) قد انقضّ عليه، ولوى ذراعه خلف ظهره في سرعة وعنف، وهو يقول في سخرية:

- كنت أعلم أنك ستواصل ركضك الفزع حتى نهاية ممر الحي التجاري، فاختصرت المسافة، ودرت حول المبنى؛ لألحق بك هنا.

ثم ضغط فوهة مسدسه بظهر (أشرف)، عند موضع القلب تمامًا، وأضاف:

- الوداع أيها المصري الساذج.

وانطلقت صرخة صامتة في أعماق (أشرف)...

صرخة رعب هائل...

ويائسة...

***

«..(ناتاليا)... ماذا حدث؟!... ماذا يحدث عندك يا (ناتاليا)؟!».

انطلقت صيحات (نيكولاي) الفزعة عبر الهاتف المفتوح في حجرة (ناتاليا)، وبلغت مسامع هذه الأخيرة وهي تقاوم

في شدة محاولة خنقها، وتطلق حشرجة مؤلمة عجيبة، والرجل الواقف خلفها يشدِّد من ضغط الحبل على عنقها وهو يبتسم في ثقة وحشية...

وجحظت عينا (ناتاليا)، وهي تدير بصرها حولها بحثًا عن أى شيء، ثم أمسكت الهاتف، بكل ما تملك من قوة، ورفعته في عنف، إلى ما خلف ظهرها، وضربت به رأس الواقف خلفها...

وامتزج صوت تحطم الهاتف، بصوته وهو يرتطم بجمجمة الرجل في قوة، وبتأوهات الرجل الذي بوغت بذلك الهجوم، فتراخت قبضته عن الحبل...

وبسرعة، دفعت (ناتاليا) خصمها بظهرها إلى الخلف، وانزلقت في نفس اللحظة إلى أسفل متجاوزة الحبل، ثم دارت على عقبيها؛ لتواجه خصمها، وهي تقول في غضب:

- الشجاعة هي أن نتواجه يا صاح... أليس كذلك؟!

تطلَّع إليها خصمها (فيليب) في حنق، وألقى الحبل الرفيع جانبًا، والدم يسيل في جرح رأسه، وهو يقول:

- فليكن يا (ناتاليا).. سأواجهك وجهًا لوجه.

ثم انتزع مسدسه في سرعة، مستطردًا في غضب:

- بهذا.

أطلق نحوها رصاصة صامتة، تجاوزتها هي بقفزة جانبية مرنة، وسمعتها ترتطم بجسم ما خلفها، وتحطمه بقرقعة مسموعة، قبل أن تنقض عليه، وتضرب المسدس بطرف حذائها

الحاد، هاتفة:

- المهم أن يصيب هدفه.

ثم دارت حول نفسها في رشاقة مدهشة، وقفزت بساقها الأخرى تضرب وجهه ضربة عنيفة، دفعته إلى الخلف في قوة، ليرتطم بالحائط، ويرتدّ إليها صارخًا في سخط:

- أيتها السوفييتية اللعينة.

ولكن (ناتاليا) ضغطت زرًّا دقيقًا في خاتمها، فبرزت من فص الخاتم إبراة سامة رفيعة، هوت بها على عنق (فيليب)، قائلة:

- لست لعينة، أيها الأمريكي الوقح.

وكان من الواضح أن ذلك السم قوي المفعول للغاية؛ فلم تكد الإبرة الرفيعة تنغرس في عنق (فيليب) حتى جحظت عينا هذا الأخير، وارتجفت أطرافه في شدة، ثم تجمدت، انطلقت من حلقه صرخة متحشرجة مكتومة، قبل أن يسقط فوق الفراش القريب كالحجر جثة هامدة...

وتراجعت (ناتاليا) إلى الخلف، وهي تلهث في انفعال، وتتطلَّع إلى جثة (فيليب) قبل أن تهتف في ازدراء:

- هذا ما تستحقه أيها الأمريكي.

ثم اتجهت إلى المرآة، وتطلّعت إلى الأثر الواضح الذي تركه الحبل على عنقها، متمتمة:

- تبًا لك... لقد شوهت عنقي.

ثم التفتت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها، واتسعت عيناها

في ذعر مستطردة:

- وحطمت رصاصتك جهاز الكمبيوتر.

اندفعت نحو الجهاز، وحاولت انتزاع الأسطوانة منه، إلا أن الأسطوانة كانت مفتتة تمامًا، بعد أن أصابت الرصاصة موضعها مباشرة، فصرخت (ناتاليا) في غضب وإحباط:

- لا.. ليس من العدل أن يحدث هذا.

كادت تبكي قهرًا ومرارة، وهي تضع الأجزاء المحطمة في راحتيها، وتغمغم في ألم:

- يا له من فشل ذريع.. الرؤساء لن يقبلوا هذا أبدًا.

ثم اكتست نظرتها بصرامة مباغتة، وهي تضيف:

ولكن مهلًا... أراهن أن ذلك المهندس المصري قد صنع لنفسه نسخة ثانية منها.. أراهن بعمري كله على هذا، فالنوع الفضولي مثله لا يتنازل عن لغز محير بهذه البساطة.

واتجهت إلى حقيبتها، وانتزعت منها مسدسًا صغيرًا، وهي تضيف:

- سأجبره على إعطائي هذه النسخة الثانية، أو...

حملت كلماتها صرامة الدنيا كلها، مع استطرادتها:

- أو يدفع الثمن... حياته...

***

كان الموت قاب قوس واحد أو أدنى، عندما وضع أحدهم يده الغليظة على كتف (ميل)، وهو يقول في صرامة:

- ما الذي يحدث هنا؟!

أوقفت الكلمة سبَّابة (ميل)، قبل لحظة واحدة من اعتصارها زناد مسدسه، والتفت هذا الأخير في سرعة إلى مصدر الصوت، فوقع بصره على رجل شرطة تركي يتطلَّع إليه في صرامة غاضبة؛ مما جعله يتخلى عن ذراع (أشرف) ويعيد مسدسه إلى جيبه في سرعة، ويرسم على شفتيه ابتسامة مصطنعة، وهو يقول:

- لا عليك أيها الضابط... إنها مشاجرة بسيطة، بين الأصدقاء.

ولكن (أشرف) هتف:

- هذا الرجل حاول قتلي أيها الضابط.

ارتفع حاجبا الضابط، وهو يهتف:

- قتلك؟!

أطلق (ميل) ضحكة عصبية، وهو يلوِّح بكفيه، قائلًا:

- لا تصدق هذه المزحة أيها الضابط... إننا...

قاطعه (أشرف) في حدة:

- ليست مزحة أيها الضابط... إنها حقيقة... فتش جيب سترته الأيمن، وستجد داخله مسدسًا أمريكي الصنع مزوَّدًا بكاتم للصوت... أمن الطبيعي أن يحمل شخص عادي مسدسًا مزوّدًا بكاتم للصوت ليمزح مع صديق؟!

انعقد حاجبا الضابط في صرامة، وهو يقول لـ(ميل):

- أرني ما تخفيه بجيب سترتك الأيمن.

قال (ميل) في عصبية:

- هل تصدِّق هذا الوغد؟!

أجابه الضابط في حدة:

- أرني ما بجيبك أولًا.

ثم انحنى ليفحص جيب (ميل) إلا أن هذا الأخير عاجله بلكمة على أنفه، أسقطته أرضًا، واندفع يعدو مبتعدًا، فصرخ الضابط:

- أوقفوه... ألقوا القبض عليه.

وانطلق عدد من رجال الشرطة خلف (ميل)، وهم يطلقون صفارات الشرطة، في حين تراجع (أشرف) في سرعة، وامتزج بالجموع التي احتشدت إثر هذا الموقف، وسرعان ما اختفي بينهم، وابتعد عن المكان في خطوات سريعة، حتى بلغ الشارع التالي، فاستوقف واحدة من سيارات الأجرة، وطلب منها نقله إلى فندقه، وجلس في أريكتها الخلفية يرتجف...

لقد نجا هذه المرة بأعجوبة...

ومن المستحيل أن ينجو في المرة القادمة...

حدة العنف تتصاعد في كل مرة...

والشراسة تزداد أكثر فأكثر...

والوسيلة الوحيدة للفرار من هذا الأمر كله، هي أن يرحل...

أن يترك (إسطنبول) كلها...

لقد اتخذ قراره في هذا الشأن...

سيصل إلى فندقه، ويجمع حقيبته، ويستقل أول طائرة إلى (القاهرة)...

أو إلى أي بلد آخر...

المهم أن يرحل...

وبأقصى سرعة...

وتوقفت به السيارة أمام الفندق فنقد سائقها أجره، وقفز منها إلى الفندق، وعبر في خطوات سريعة أمام موظف الاستقبال، الذي هتف به:

- سيِّد (أشرف) لقد...

صاح به (أشرف)، وهو يلوِّح بكفه:

- فيما بعد يارجل.. فيما بعد.

واستقلّ المصعد في توتر، صاعدًا إلى حجرته، وفتح بابها في عصبية، واندفع داخلها، و...

وتوقف في مكانه مشدوهًا، ومتطلعًا إلى (ناتاليا)، التي جلست في هدوء، على طرف الفراش، ووضعت على شفتيها ابتسامة هادئة ساحرة، وهي تقول:

- مرحبًا يا (أشرف).

تجمَّد في مكانه للحظات، وهو يحدِّق فيها بدهشة قبل أن يغلق باب الحجرة خلفه في عصبية، ويسألها في حدة:

- كيف دخلت إلى هنا؟!

هزَّت كتفيها، قائلة:

- أخبرتهم أنني زوجتك، فسمحوا لي بالدخول.

هتف محنقًا:

- بهذه البساطة؟!... أي نظام أمني هذا؟!

منحته ابتسامة أكثر سحرًا وجاذبية، وهي تقول في نعومة:

- أيضايقك أن وجدتني في حجرتك؟!

اتجه إلى حقيبته، وحملها إلى طرف الفراش وهو يجيب في حدة:

- يضايقني أن أجدك في أي مكان.

ارتفع حاجباها في دهشة، وهي تهتف:

- إلى هذا الحد؟!

راح يجمع أشياءه داخل الحقيبة في سرعة، وهو يقول في عصبية:

- ألا تدركين ما فعله بي تودّدي إلى أختك، وتسليمي الأسطوانة لك؟!... لقد تورَّطت -على الرغم مني- في لعبتكم العنيفة القذرة، ولم يعد أمامي سوى الرحيل بأسرع وسيلة، قبل أن تتحوَّل إجازتي إلى كارثة.

اعتدلت في مجلسها، وتلاشت ابتسامتها، وهي تقول في حزم:

- ارحل كما يحلو لك، ولكن بعد أن تعطيني نسخة الأسطوانة.

توقَّف بغتة، ورفع عينيه إليها، هاتفًا في دهشة:

- نسخة الأسطوانة؟!

أجابته في صرامة:

- نعم... نسخة الأسطوانة... لا تحاول إقناعي بأنك لم تصنع لنفسك نسخة منها، قبل أن تسلمني إياها.

تطلَّع إليها لحظات في صمت، قبل أن يبتسم ابتسامة عصبية ساخرة، ويقول:

- ولكنك حصلت على الأسطوانة الأصلية.

صاحت به:

- لقد تحطمت... حاول أحدهم قتلي، فحطَّم الأسطوانة، ولا بد لي من الحصول على نسختك.

صمت للحظات أخرى، وهو يتطلَّع إليها، قبل أن يقول في لهجة عجيبة:

- أأنت واثقة من أنني أمتلك نسخة ثانية من أسطوانتك؟!

أجابته في حزم:

- تمام الثقة.

اعتدل في صرامة، وهو يقول:

- وماذا لو رفضت منحك إياها؟

أخرجت من جيبها مسدسها الصغير، وصوَّبته إلى رأسه، قائلة في لهجة واضحة الحزم:

- سأقتلك.

ارتفع من عند النافذة صوت خشن، يقول:

- اتركي لي هذه المهمة.

ثم انطلقت رصاصة صامتة، أطاحت بمسدسها، فالتفتت مع (أشرف) إلى مصدر الصوت في آن واحد، ووقع بصرهما على (ميل) الذي ابتسم في سخرية، مستطردًا:

- سيسعدني قتلكما معًا، وبلا زيادة في السعر.

وضغط زناد مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت...

وانطلقت الرصاصة.

* * *



- ٧ -

الهروب

لم يكن هناك في تلك الحجرة، في هيلتون (إسطنبول)، ما يحول بين (ميل) وإطلاقه النار على (أشرف) و(ناتاليا)...

كان مسدس الأمريكي مصوبًّا إليهما، وسبَّابته تهمّ باعتصار زناده، و...

وفجأة، هتفت (ناتاليا):

- اقتله يا (نيكولاي).

صرخت بها وعيناها تبرقان ببريق الظفر، وتتطلَّعان إلى نقطة ما خلف (ميل)...

وعلى الرغم من الذعر الذي يشعر به (أشرف)، اتسعت عيناه في دهشة، وهو ينظر إلى تلك البقعة، التي تتطلَّع إليها (ناتاليا)...

لقد كانت بقعة خالية...

خالية تمامًا...

وعلى الرغم من هذا... ومن أنها أقدم خدعة في التاريخ وأعرقها؛ إلا أن الأمريكي وقع فيها في بساطة تثير الدهشة، والتفت خلفه في سرعة وحدة، لمواجهة هذا الـ(نيكولاي) المزعوم...

وهنا تحرَّكت (ناتاليا)...

تحرّكت في خفة وسرعة، أدهشتا (أشرف) دهشة عارمة، حينما انقضت على (ميل) في جرأة، وقفزت تركل مسدسه بطرف حذائها الدقيق، ثم تراجعت في مرونة وهذا الأخير يصرخ في سخط:

- أيتها السوفييتية اللعينة!

وتحرّك ليلتقط مسدسه مرة أخرى، ولكن (ناتاليا) وثبت نحو مسدسها الصغير الملقى في ركن الحجرة، والتقطته في خفة تحسد عليها، ثم رفعته نحو (ميل)...

وأطلقت النار..

وانتفض جسد (أشرف) في قوة، وهو يحدق في ذعر في وجه (ميل)، الذي اتسعت عيناه في شدة، وارتجفت أصابعه في طريقها إلى مسدسه، ثم ترنّح جسده وهو يهتف في مزيج من الألم والمرارة والسخط:

- أيتها اللعينة.

قبل أن يسقط على وجهه كالحجر، في دويّ ردَّدته جدران الحجرة...

وران صمت ثقيل على المكان...

صمت يمتزج برائحة البارود، ورهبة الموت...

صمت لم يستغرق سوى ثوان معدودة، قبل أن يقطعه (أشرف)، وهو يهتف:

- لقد... لقد مات.

أجابته (ناتاليا) في صرامة، وهي تعيد المسدس إلى جيبها:

- هذا هو الأفضل لأمثاله... أكنت تفضّل لو متنا نحن؟!

حدَّق (أشرف) في الجثة مرة أخرى، وصاح:

- ولكنها جريمة قتل.

أجابته في سرعة:

- في حجرتك.

صرخ:

- حجرتي؟!... ماذا تعنين؟!... إنني لم أقتله... أنت فعلت.

ثم اندفع نحو الهاتف مضيفًا:

- وسأبلغ الشرطة بهذا، كما يفعل أي مواطن شريف.

أخرجت مسدسها مرة أخرى من جيبها، وصوَّبته إليه، وهي تقول في صرامة:

- افعل، وستحوي الحجرة جثتين، بدلًا من واحدة...

ارتجف وهو يتطلَّع إلى مسدسها المصوِّب إلى صدره، وأعاد سمَّاعة الهاتف إلى موضعها في بطء...

كان يعلم أنها لن تتردَّد في قتله...

لقد قتلت رجلًا بضعف حجمه، منذ ثوان معدودة...

وبلا تردّد...

وفي عصبية ولّدها الخوف من أعماقه، هتف (أشرف):

- ماذا تريدين مني بالضبط؟!

أجابته في صرامة:

– نسخة الأسطوانة.

قال في حدة:

– لم أصنع أية نسخ من هذه الأسطوانة اللعينة.

التقى حاجباها في صرامة مخيفة، وهي تقول:

– اسمع يا (أشرف)... إنني لست فتاة عادية.

غمغم في سخط:

– هذا واضح.

تابعت متجاهلة تعليقه:

– لقد تلقيت تدريبات عديدة ومتعدّدة، قبل أن أتسلّم هذه المهمة، ومن بين هذه التدريبات تدريب خاص لتعرّف الطبيعة النفسية للأشخاص من كل الجنسيات، وهذا التدريب يكفي لأعلم أن رجلًا مثلك لا يمكنه أن يسلمني أسطوانة كمبيوتر تحوي شيئًا يجهله، دون أن يصنع لنفسه نسخة منها، يمكنه دراستها فيما بعد.

قال في حدة تحوي شيئًا من السخرية الغاضبة:

– وهل تتلقون مثل هذه التدريبات، في شركات الكمبيوتر؟!

بدا الغضب على ملامحها أكثر، وهي تقول:

– نسخة الأسطوانة يا أستاذ (أشرف).

حمل وجهه علامات التردّد للحظات، فاندفعت هي نحو حقيبته، وانتزعت منها جواز سفره في حدة، وهي تقول:

– الأسطوانة مقابل جواز سفرك.

هتف في توتر:

– ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟!... إنهم يطاردونني، ولن يمكنني مغادرة (إسطنبول)، دون جواز السفر!

مدت يدها إليه، هاتفة في صرامة:

– نسخة الأسطوانة أولًا.

زفر في حنق، وقال في عصبية:

– أنت على حق... لقد صنعت لنفسي نسخة من الأسطوانة.

صاحت في ظفر:

– كنت أعلم هذا.

ثم سألته في صرامة:

– وأين هي؟!

بدا الضيق على وجهه وهو يطلق زفرة أخرى، قبل أن يجيب.

– في الطابق السفلي... في خزانة من خزائن الأمانات، في ردهة الفندق.

سألته في لهفة:

– وما رقم هذه الخزانة؟!

فتح فمه ليدلي برقم الخزانة، لولا أن ارتفعت فجأة دقات باب الحجرة، مصحوبة بصوت أجش، يقول:

– طعام الغداء يا مستر (أشرف).

التفتت هي في حركة حادة إلى الباب، ثم سألت (أشرف)،

في همس متوتر:

– أمن الطبيعي أن يأتيك طعام الغذاء إلى حجرتك؟!

تمتم في حيرة:

– كلا... المفترض أن أهبط لتناوله، في الـ...

قاطعته في حدة، وهي تدفعه نحو شرفة الحجرة:

– كنت أتوقع هذا.

سألها في ذعر:

– ماذا تفعلين؟!

تصاعدت الدقات على باب الحجرة، وتحوَّلت إلى العنف، وهي تجيبه:

– ألم تفهم بعد؟!... إنهم الأمريكيون.

هتف في هلع:

– الأمريكيون.

ارتفع في تلك اللحظة صوت (دارك) في وضوح، وهو يهتف من خلف الباب:

– افتح يا مستر (أشرف)... افتح أو نحطِّم الباب.

شحب وجهه، وهو يقول في ارتياع:

– إنهم هم بالفعل... ماذا سنفعل؟!

دفعته أمامها، وهي تقول:

– سننتقل إلى الحجرة المجاورة، وننتهز فرصة اقتحامهم حجرتك، لنفرّ من الفندق كله.

ألقى نظرة مذعورة من الشرفة، قبل أن يهتف:

- هل جننت؟!... الانتقال إلى الحجرة المجاورة يعني الخروج من الشرفة، من هذا الارتفاع، والسير لثلاثة أمتار، فوق حاجز بعرض خمسة وعشرين سنتيمترًا، و...

عبرت حاجز الشرفة في جسارة، والتصقت بظهرها إلى جدار الفندق من الخارج، وهي تسير فوق الحاجز الضيق، قائلة:

- انتظرهم إذن، لو أن هذا يحلو لك.

دوى في أذنيه صوت ارتطام جسد ثقيل بالباب، وألقى نظرة هلعة على جثة (ميل)، ثم غمغم في سخط:

- لا... هذا لا يحلو لي بالتأكيد.

وارتجف وهو يعبر حاجز الشرفة، وحاول ألا يلقي نظرة على الطريق في أسفل، وهو يلصق ظهره بالجدار الخارجي للفندق بدوره، ويسير في حذر فوق الحاجز الضيق، في طريقه إلى الحجرة المجاورة وهو يتابع محنقًا:

- ما الذي أتى بي إلى (إسطنبول)؟!... من صاحب هذه الفكرة السخيفة؟!

وفي نفس اللحظة تحطَّم رتاج الباب، تحت ضربات جسد (مارتن)، مساعد (دارك)، الذي اندفع إلى الحجرة شاهرًا مسدسه، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب، وهو يلقى نظرة على جثة (ميل)، وصاح:

- يا للشيطان!

ثم أسرع يفحص جثة (ميل) ويقول في ثورة:

- لقد قتله ذلك المصري اللعين.

أجابه (مارتن) في توتر:

- إذن فهو ليس مجرَّد رجل عادي يا (دارك)... إنه محترف.

لوَّح (دارك) بكفه في حدة، وقال:

- لا.. لقد طلبت تحريات كاملة عنه، وهو مجرَّد مهندس كمبيوتر، في واحدة من الشركات الأمريكية بـ(القاهرة).

ثم تلفَّت حوله مستطردًا:

- ولكن من الواضح أن السوفييتية اللعينة جاءت إلى هنا... إنني أشتم رائحة عطرها المميَّز في المكان... هي التي قتلت (ميل) حتمًا.

سأله (مارتن):

- أين ذهبت إذن؟

أجابه (دارك)، وهو يتلفَّت حوله مرة أخرى:

- ربما غادرت المكان في سرعة، أو...

وقع بصره على حقيبة (أشرف)، الملقاة على الفراش، وعلى الثياب الموضوعة إلى جوارها، والتي توحي بأن (أشرف) كان يعدّ حقيبته لرحيل سريع، وكرر:

- أو...

نطق ذلك الحرف الصغير، ثم استدار في حركة حادة سريعة، واندفع نحو الشرفة، وألقى نظرة عبرها، هاتفًا:

- يا للشيطان!

كان (أشرف) قد بلغ، في هذه اللحظة، حاجز شرفة الحجرة المجاورة، ولكنه لم يكن قد عبره إلى داخلها بعد، وكانت (ناتاليا) تنتظر لالتقاطه، عندما وقع بصر (دارك) على هذا المشهد...

وبسرعة تليق بالمحترفين، انتزع (دارك) مسدّسه، وصوَّبه إلى (ناتاليا)، ولكن هذه الأخيرة كانت تحمل مسدسها بالفعل، فرفعته بسرعة أكبر، وأطلقت منه رصاصة، أطاحت بمسدس (دارك) في اللحظة المناسبة، مما دفع الأمريكي إلى التراجع في حركة حادة، صائحًا بكلمته الشهيرة:

- يا للشيطان!

وفي نفس اللحظة، ومع انطلاق الرصاصة إلى جوار أذنه، فقد (أشرف) توازنه، وهوى جسده، وكاد يسقط من حاله...

ولكن أصابعه أنقذته. أصابعه...

وكذلك غريزته...

غريزة البقاء...

لقد تشبّث فجأة بحاجز الشرفة، قبل لحظة واحدة من السقوط، وأمسك به، بكل ما يملك من قوة، و(ناتاليا) تهتف به:

- أسرع... أسرع.

جذب جسده إلى أعلى، وهو يهتف في سخط:

- من السهل قول هذا.

عاونته على العبور إلى داخل الشرفة، وهي تهتف:

- ومن المميت عدم تنفيذه.

وفي نفس اللحظة، كان (دارك) يهتف بـ(مارتن):

- أسرع يا رجل... إنهما يفران من الحجرة المجاورة.

استلّ (مارتن) مسدسه، دون أن يلفظ حرفًا واحدًا، واندفع عبر الحجرة، ثم انقضّ على باب الحجرة المجاورة، ودفعه بقدمه في عنف، وقفز داخل الحجرة، وصوَّب مسدسه إلى ساكنيها، اللذين أطلقا صرخة ذعر، جعلته يتراجع خطوة واحدة، وعيناه تبحثان عن (أشرف) و(ناتاليا)...

ولكنه كان قد أخطأ الحجرة...

لسوء حظه...

ولحسن حظ (أشرف) و(ناتاليا)...

لقد اقتحم الحجرة المجاورة إلى اليسار، في حين كان الاثنان في الحجرة المجاورة إلى اليمين...

وكانت حجرة خالية، عبرها الاثنان في سرعة، ثم غادراها إلى الممر الخارجي، و(دارك) يهتف صائحًا بـ(مارتن):

- الحجرة الأخرى أيها الغبي... الحجرة الأخرى.

قفز (مارتن) خارج الحجرة، ولكن (ناتاليا) أجبرته على العودة إليها، برصاصتين من مسدسها الصغير، أصابتا إطار بابها، في حين اندفع (أشرف) نحو المصعد، وضغط زره في توتر، وصرخ (دارك) من داخل حجرة أشرف:

- أيها الغبي... أيها الغبي.

وشعر (أشرف) بقلبه ينبض في عنف، وبدهر يمضي مع صعود المصعد و(مارتن) يحاول مرة أخرى الخروج من الحجرة، وإطلاق النار على (ناتاليا)، التي أجبرته للمرة الثانية على العودة إلى حجرته، برصاصة واحدة هذه المرة، وهي تهمس لـ(أشرف) في عصبية:

- أسرع.. لم يعد لدى سوى رصاصة واحدة.

أجابها في حدة:

- وكيف أسرع هذه المرة؟!... هل أجذب أسلاك المصعد بنفسي؟!

لم يكد يتمّ عبارته، حتى بلغ المصعد الطابق، وانفتح بابه في نعومة، فقفز (أشرف) داخله، وهو يهتف بـ(ناتاليا):

- أسرعي.

قفزت داخل المصعد وهي تقول:

- أخيرًا.

لم تكد تفعل، حتى بدأت أبواب المصعد رحلة الإغلاق، واندفع (مارتن) خارج الحجرة، و(دارك) يصرخ به:

- اقتلها... اقتلها على الفور.

وبلغ (مارتن) المصعد، قبل أن تلتقي ضلفتا بابه، ولكن (ناتاليا) أطلقت نحوه رصاصتها الأخيرة، فتراجع متفاديًا إياها، وترك المصعد يغلق أبوابه، ويبدأ رحلة الهبوط...

وصرخ (دارك) غاضبًا:

- الحق بهما أيها الغبي... استخدم سلم الطوارئ، لا تسمح لهما بالفرار...

ولكن المصعد كان يهبط في سرعة كبيرة، حتى بلغ الطابق السفلي، ولم يكد يفتح أبوابه، حتى أعادت (ناتاليا) مسدسها إلى جيبها، واندفعت خارج المصعد مع (أشرف)، وهي تصيح:

- النجدة... هناك من يطلق النار في الطابق العلوي... النجدة...

أثارت عبارتها ذعر رواد الفندق، واندفع رجال الأمن نحو المصعد، وساد الهرج والمرج، في حين واصلت هي فرارها مع (أشرف)، حتى غادرا الفندق، وعبرا الطريق في خطوات سريعة، فصاح (أشرف) في سخط، وهو يلهث في شدة:

- لماذا أواجه كل هذا؟!... ما ذنبي في صراعكما السخيف هذا؟!

أجابته (ناتاليا) في صرامة:

- إنه قدَرك.

صاح في غضب:

- قدَري؟!... أي قول سخيف هذا؟!... أية محاولة باهتة لإلصاق تهمة باطلة بالقدر... لقد سئمت كل هذا... سئمت التعرّض لمخاطر لا حصر لها، من أجل صراع لا ناقة لي فيه ولا جمل... سأترك لكم كل هذا، وأعود إلى وطني، و ...

قالت في صرامة:

- ليس قبل أن تعطيني نسخة الأسطوانة.

أخرج من جيبه مفتاحًا يحمل رقمًا واضحًا، إلى جوار شعار الفندق، وهو يقول في حدة:

- ها هو ذا مفتاح الخزانة، خذي أسطوانتكم اللعينة، ودعيني أرحل، و...

بتر عبارته بغتة، وحدَّق في يدها، هاتفًا:

- ولكن أين جواز سفري؟

عقدت حاجبيها في ضيق، وهي تقول:

- لست أدري... ربما فقدته أثناء الصراع، أو...

قاطعها صارخًا:

- فقدته؟!... فقدت جواز سفري؟!... بهذه البساطة؟!

فوجئ بها تمسك ذراعه، وتجذبه جانبًا في حدة، صائحة:

- احترس...

التفت في ذعر إلى حيث تنظر عيناها، ووقع بصره على تلك السيارة الأمريكية الضخمة، التي تنقضّ عليهما في سرعة وشراسة، ولم يكن يحتاج إلى كثير من الذكاء ليدرك أن هدفها ليس سوى القتل...

قتلهما...

مباشرة.

* * *

- ٨ -

الخطة

ما الذي يحدث؟!...

أي جنون هذا؟!...

هذا ما جال بخاطر (أشرف)، وهو يحدِّق في السيارة الضخمة التي تندفع نحوه ونحو (ناتاليا) بهذه الشراسة...

لم يكن يصدِّق أبدًا وجود كل هذا العنف في الدنيا...

لم يكن يتصوَّر أن الصراعات يمكنها أن تبلغ هذا الحد...

وفي حدة، هتفت (ناتاليا):

- ابتعد.

قالتها وقفزت جانبًا، واحتمت بجدار مبنى قريب...

ولكنه لم يبتعد...

كانت ثورة أعصابه قد بلغت ذروتها، ولم يعد يحتمل تلك الضغوط المتوالية، التي لم يتعرَّض لمثلها في حياته من قبل...

ومع ثورة الأعصاب، تأتي ردود الأفعال عنيفة...

وغير متوقَّعة...

وهذا ما حدث...

كانت (ناتاليا) تتوقَّع أن يجري (أشرف)، أو يبتعد، أو حتى يقفز عاليًا...

المهم أن يأتي تصرفًا واحدًا، يشفّ عن خوفه وذعره واضطرابه...

ولكن (أشرف) لم يفعل...

لقد تراجع خطوة واحدة، ثم انحنى يلتقط حجرًا من الأرض، وألقى به نحو السيارة، بكل ما يملك من قوة...

وأصاب الحجر زجاج السيارة في عنف، وشرخه عدة شروخ قوية، كما أربك سائق السيارة، فانحرف بها في حركة حادة، وهو يحني رأسه في حركة غريزية...

ومالت السيارة نحو جدار المبنى المجاور، وقفز إطارها الأمامي الأيسر فوق الإفريز، ثم ارتطمت زاويتها التي تعلوه بالجدار في عنف...

وفجأة، وبدلًا من أن يستغلّ (أشرف) الفرصة للفرار، فوجئت به (ناتاليا) يقفز فوق مقدِّمة السيارة، ثم يعبرها إلى جانبها الأيسر، ويفتح بابها، وينتزع سائقها من مكانه، وهو يصيح به في غضب:

- إذن فأنت تريد قتلنا.

حاول الأمريكي أن يدفعه، ويمدّ يده لالتقاط مسدسه، من الجراب المعلَّق تحت إبطه، وهو يقول في عصبية:

- ابتعد، أو...

أمسك (أشرف) معصم الرجل بيسراه، وكال له لكمة مباغتة بيمناه، هاتفًا:

- أو ماذا؟!

صرخ الأمريكي:

- أيها المصري الحقير، أيها الـ...

ولكن (أشرف) كال له لكمة أكثر عنفًا، وهو يقول في غضب:

- لا يوجد مصري حقير أيها الوغد.

صرخ الأمريكي في ألم، ثم دفع (أشرف)، وانتزع مسدسه، هاتفًا:

- ستدفع الثمن أيها المصري...

إلا أن (أشرف) دفع باب السيارة المفتوح في قوة، وأصاب به معصم الرجل الممسك بالمسدس، وعاد يجذبه، ويضربه به مرة ثانية، وثالثة...

وأطلق الأمريكي صرخة ألم أخرى وهو يفلت مسدسه، فالتقط (أشرف) المسدس، وهوى بقبضته على فكّ الأمريكي، الذي أطلق حشرجة مؤلمة، وسقط رأسه على صدره فاقد الوعيد...

وهنا فقط أفاق (أشرف) من ثورته...

وعندما أفاق منها، أصابه الذعر لما فعل، وحدَّق في الأمريكي الفاقد الوعي في ذهول، ثم رفع عينيه يتطلَّع إلى المارة، الذين يتطلعون إليه بدورهم في رهبة، في حين سألته (ناتاليا) في دهشة:

- كيف فعلت هذا؟!

أدار عينيه إليها، قائلًا في حيرة:

- لست أدري!!.

ثم التفت إلى المارة، ولوَّح بيديه صائحًا:

- ماذا تشاهدون؟!... انصرفوا... هيا.

انقضّوا من حوله في رعب، وهتفت به (ناتاليا):

- هيا بنا إذن... لا بد أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة، قبل وصول رجال الشرطة.

قفز مرة أخرى فوق مقدِّمة السيارة، وانطلق يعدو معها مبتعدًا، دون أن يشعر سوى برغبته في الفرار، حتى هتفت به هي:

- ضع ذلك المسدس في جيبك... إننا لا نحتاج إلى لفت الأنظار إلى هذا الحد.

انتبه في هذه اللحظة فقط، إلى أنه ما يزال حاملًا مسدس الأمريكي، فأسرع يدسّه في جيبه في خوف، ثم أمسك ذراع (ناتاليا)، ودفعها إلى الوقوف، وهو يسألها في حدة:

- والآن ماذا؟!

توقَّفت، والتفتت إليه متسائلة، فأضاف:

- ماذا سنفعل؟

أجابته على الفور:

- سنحاول استعادة نسخة الأسطوانة.

صاح في عصبية:

- وماذا عني أنا؟!

هزَّت كتفيها في لا مبالاة، وأجابت:

- سل نفسك... إنك الآن هارب من الشرطة، ومن الأمريكيين، وبلا جواز سفر، ولقد تركت جثة في حجرتك، فما الذي يمكنك فعله؟!

قال في حدة:

- قتلك.

ابتسمت في سخرية، وقالت:

- ولكنك لن تفعل.

قال غاضبًا:

- سأقنع نفسي بفعل هذا؛ فأنت السبب في كل ما أصابني، وفي الضياع الذي أعانيه الآن.

عقدت حاجبيها، وهي تقول في صرامة:

- هناك وسيلة بسيطة.

سألها في حدة:

- وما هي أيتها العبقرية؟!

أجابته في حدة مماثلة:

- أن تعود، وتسلِّم نفسك للسلطات التركية، وتقصّ عليهم كل ما حدث.

قال في توتر:

- يا له من حل سخيف!

مطَّت شفتيها، قائلة:

- لماذا؟!... إنهم لن يجدوا دليلًا واحدًا لإدانتك، وستستعيد

جواز سفرك، ويمكنك بعدها العودة إلى وطنك.

عقد حاجبيه في تفكير عميق، ثم قال في حسم:

- فكرة لا بأس بها.

ثم أخرج المسدس من جيبه، وناولها إياه، واستدار في حزم، فسألته:

- هل ستعود بالفعل؟!

أجابها في صرامة:

- نعم.

ثم أشار إلى واحدة من سيارات الأجرة، وقفز داخلها، قائلًا في حزم:

- فندق (هيلتون).

انطلقت به السيارة، وتابعتها (ناتاليا) ببصرها، ثم هزَّت كتفيها، قائلة:

- الوداع أيها المصري الوسيم... الوداع.

واستوقفت سيارة أخرى، قالت لسائقها وهي تدلف إليها:

- السفارة السوفييتية.

ثم استرخت في مقعدها...

وأسبلت جفنيها في ارتياح...

***

«كيف فشلت في قتل تلك السوفييتية اللعينة؟!...».

صاح (دارك) بهذه العبارة، في وجه (مارتن)، وهي تحمل

كل غضبه وغيظه وحنقه، فعقد (مارتن) حاجبيه، وهو يقول:

– لقد بذلت أقصى جهدي يا مستر (دارك).

لوَّح (دارك) بذراعيه، وهو يهتف:

– وهذا ما يخنقني.

ابتسم (مارتن)، وهو يقول:

– إننا لم نخسر اللعبة بعد يا مستر (دارك).

قال (دارك) في عصبية :

– من قال هذا؟!... لقد فقدنا (فيليب) و(ميل)، وتحطَّمت الأسطوانة.

أجابه (مارتن)، وعيناه تبرقان ببريق عجيب:

– ولكن جهاز التسجيل، الذي زرعناه في حجرة المصري، نقل إلينا أملًا جديدًا.

تطلَّع إليه (دارك) في لهفة حقيقية، وهو يسأله:

– أي أمل هذا؟!

مال (مارتن) نحوه، وابتسم وهو يقول:

– هناك نسخة من الأسطوانة.

اتسعت عينا (دارك)، وهو يهتف:

– نسخة منها.

ثم أمسك ياقة (مارتن)، وهو يستطرد في انفعال:

– أين هي؟!... أين هي بحق الشيطان؟

أجابه (مارتن)، وهو يزيح أصابعه عن ياقته:

- مع ذلك المصري.

ثم قصّ عليه ملخص ما سجلته أجهزة التسجيل، من المحادثة التي دارت بين (أشرف) و(ناتاليا)، في حجرة هذا الأخير، فهبّ (دارك) من مقعده، هاتفًا في انفعال:

- وكيف يمكننا العثور على ذلك المصري الآن؟!... كيف يمكننا الحصول على نسخة الأسطوانة، بعد أن فرّ مع السوفييتية؟!

ابتسم (مارتن)، وقال في ثقة وزهو:

- لقد عاد.

عقد (دارك) حاجبيه الكثين، دون أن يلفظ شيئًا، فاستطرد (مارتن):

- رجلنا في فندق (هيلتون)، أبلغني منذ لحظات أن المصري قد عاد، وسلَّم نفسه للسلطات التركية، وقال إن سوفييتية هي التي قتلت (ميل) في حجرته، وأنها اختطفته على الرغم منه، وأجبرته على مغادرة الفندق معها، ولكن الشرطة التركية احتجزته حتى يمكنها التحقق من أقواله، قبل إعادة جواز سفره إليه، فلقد عثروا على جواز السفر إلى جوار المصعد.

برقت عينا (دارك)، وهو يقول في حماس:

- ابذل أقصى جهدك إذن يا (مارتن)... أرسل محاميًا من عندنا.. اتفق مع محام تركي... أفضل محام في (إسطنبول) كلها... ادفع أي مبلغ ممكن، لرشوة رجال الأمن والقضاء...

المهم أن يتمّ الإفراج عن ذلك المصري في أسرع فرصة، ويعود إلينا... هل تفهم؟!

ابتسم (مارتن)، وقال:

- أفهم... أفهم يا مستر (دارك).

وغادر المكان في هدوء واثق ليبدأ مهمته...

وليواصل اللعبة...

القاتلة...

* * *

تطلَّع الملحق العسكري السوفييتي إلى (ناتاليا) للحظات في صمت، قبل أن يقول في برود، لا يفوقه إلا البرودة الشهيرة لشمال بلاده:

- إذن فأنت تريدين العودة إلى (موسكو)، بعد مهمة فاشلة.

أجابته (ناتاليا) في ضيق:

- ليست فاشلة أيها الرفيق، ولكنها شديدة التعقيد، والأمريكيون يحاصرونني على نحو بالغ الخطورة، والوسيلة الوحيدة لنجاح المهمة، هي استبدالي برفيق آخر لا يعرفه الأمريكيون.

ظلَّ الملحق العسكري يتطلَّع إليها لحظات في صرامة، قبل أن يقول في برود:

- لا بأس.

ثم اتجه إلى مكتبه، وفتح درجه العلوي، والتقط منه سلسلة

مفاتيح فضية، تحوي مفتاحًا واحدًا، ألقى بها إلى (ناتاليا)، قائلًا:

- اذهبي إلى المنزل الآمن رقم (٦)، ولا تغادريه قط، حتى يتمّ الاستبدال المطلوب.

التقطت (ناتاليا) سلسلة المفاتيح، وهي تغمغم:

- شكرًا يا سيدي.

وغادرت المكتب في خطوات سريعة، والملحق العسكرى يتابعها بنظراته في برود، حتى أغلقت خلفها باب حجرته، فرفع سمّاعة هاتفه المباشر، وضغط أزرار رقم خاص، وانتظر حتى سمع صوت محدِّثه، من الطرف الآخر، فقال في احترام:

- مساء الخير أيها الرفيق الجنرال... إنه أنا.. (كلاشينكوف)... نعم... أتحدث من (إسطنبول)... لقد فشلت الرفيق (ناتاليا) في مهمتها، وتطلب استبدالها برفيق آخر... نعم أيها الرفيق الجنرال... لقد أرسلتها إلى المنزل الآمن رقم (٦).

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة، وهو يستطرد:

- هذا ما أقترحه بالضبط أيها الرفيق الجنرال... أن يتمّ استبدالها... إلى الأبد.

واتسعت ابتسامته أكثر...

وامتلأت بشراسة أكبر...

بكثير...

* * *

يومان كاملان، قضاهما (أشرف)، في قسم الشرطة التركي،

قبل أن يستدعيه ضابط القسم، ويواجهه قائلًا:

- أظننا سنفرج عنك يا سيِّد (أشرف).

تهللت أسارير (أشرف)، وهو يقول:

- حقًا؟!

أومأ الضابط برأسه إيجابًا، وقال:

- نعم يا سيِّد (أشرف)... لقد وصل تقرير المعمل الجنائي، بسرعة لم تحدث من قبل وهو يُدعِّم أقوالك، مما دفع قاضي التحقيقات إلى إصدار أمر بالإفراج عنك، بسرعة أيضًا لم تحدث من قبل، وهذا يعني أنك الآن حر يا سيِّد (أشرف).

لم يصِّدق (أشرف) نفسه، وهو ينهي إجراءات الإفراج عنه، ويتسلَّم جواز سفره، وسأله الضابط، وهو يغادر قسم الشرطة:

- ماذا ستفعل الآن يا سيِّد (أشرف)؟!

أجابه (أشرف)، في لهفة وسعادة:

- سأستقلّ أوَّل طائرة إلى (القاهرة) يا سيِّدي... صدقني... لقد اشتقت كثيرًا لوطني هذه المرة.

غادر قسم الشرطة وهو يكاد يطير فرحًا، ولم يكد يلمح سيارة الأجرة، التي تقف على مقربة من القسم، حتى لوَّح لها، وأسرع يستقلها، وهو يقول لسائقها في مرح:

- المطار يا رجل، وبأسرع ما...

بتر عبارته بغتة، وابتلع لسانه في رعب، عندما التفت إليه السائق، الذي لم يكن سوى (مارتن)، وابتسم ابتسامة شرسة

ظافرة، في نفس اللحظة التي التصقت فيها فوهة مسدس برأسه من الخلف، وسمع من الأريكة الخلفية صوتًا خشنًا، يقول:

- مرحبًا بك مرة أخرى، أيها المصري.

وفي مرآة السيارة الداخلية، رأي (أشرف) من خلفه وجه (دارك)، وهو يعقد حاجبيه في صرامة مخيفة:

- وعندما انطلقت به السيارة، أدرك (أشرف) أنه قد عاد إلى الجحيم...

الجحيم الحقيقي.

***



- ٩ -

الرحيل

لم تشعر (ناتاليا) في عمرها كله بالعجز والتوتر مثلما شعرت بهما في ذلك اليوم، وهي تقف أمام نافذة المنزل الآمن رقم (٦)، متطلِّعة إلى الطريق...

كانت أوَّل مرة تمرّ فيها بمثل هذا الموقف، حيث تجد نفسها عاجزة عن الحركة والتصرف، بناءً على الأوامر الموجهة إليها، انتظارًا لوصول مبعوث خاص، يعمل على ترحيلها من (إسطنبول)، قبل أن يظفر بها الأمريكيون...

وانطلق رنين جرس الباب...

وارتجف قلبها بين ضلوعها...

كانت تنتظر هذا الرنين منذ يومين، عندما سجنت نفسها اختياريًّا في ذلك المنزل، وعلى الرغم من هذا فقد استلت مسدسها، واتجهت إلى الباب في حذر، وألقت نظرة عبر العين السحرية في منتصفه، قبل أن تهتف في سعادة:

- (نيكولاي).

وأسرعت تفتح الباب، وتتطلَّع إلى السوفييتي الأشقر الوسيم، الذي ابتسم قائلًا:

- أنا أيضًا اشتقت إليك كثيرًا يا (ناتاليا)... لقد أصابني الذعر، وأنا أتحدث إليك هاتفيًّا، عندما تصوَّرت أنهم نجحوا في التخلص منك.

قالت في غيظ:

- هؤلاء الملاعين... لست أدري كيف كشفوا الأمر، ولكنهم يقاتلون في شراسة للحصول على الأسطوانة.

قال في برود:

- لم يكن ينبغي أن يعلموا.

هزَّت كتفيها، قائلة في أسف:

- ولكنهم علموا.

ثم سألته في اهتمام:

- هل سنعود معًا؟!

صمت لحظة، قبل أن يقول:

- سترحلين وحدك.

هتفت محبطة:

- لماذا؟!

أجابها في حزم:

- هذه هي الأوامر.

لم تناقش العبارة، فقد اعتادت في عملها طاعة الأوامر بلا مناقشة، ولكنها سألته:

- وكيف سيتم رحيلي؟!.

غمغم:

- بأسرع وسيلة.

ثم مدّ يده إليها، مستطردًا:

- أعطيني سلاحك، فالأفضل ألا يجدوا معك أية أسلحة إذا ما تم تفتيشك.

ناولته سلاحها بلا مناقشة أيضًا، فقد كانت تثق به ثقة عمياء؛ إذ إنهما خطيبان منذ زمن، والجميع يعلمون قصة حبهما الطويلة، وسألته:

- ومتى أرحل؟!

صمت لحظات، وأشاح بوجهه عنها، ثم اتجه إلى النافذة، وتطلَّع منها إلى (أياصوفيا)، التي تبدو من بعيد، فسألته مرة ثانية:

- متى يا (نيكولاي) ؟!... متى أرحل؟!

التفت إليها في حركة حادة، وجذب إبراة مسدسها، الذي ناولته إياه منذ قليل، وهو يقول في عصبية:

- الآن... الآن يا (ناتاليا).

اتسعت عيناها في ذهول، وهي تتراجع في عنف، كمن أصابته لكمة قوية، وهتفت:

- (نيكولاي)... أتعني هذا حقًّا؟!

أجابها في عصبية، وهو يصوِّب مسدسها إليها:

- معذرة يا (ناتاليا)... إنني مضطر.

ترقرقت عيناها بالدموع، وهي تهتف:

- ولكن لماذا يا (نيكولاي)؟!... لماذا؟!

صاح:

- الأوامر... أنت تعرفين الأوامر.

صرخت:

- ولماذا أنت بالذات؟!

قال وعصبيته تتضاعف:

- هذا شأنهم... ربما لأنك ستثقين بي، أكثر من أي شخص آخر.

جفَّت دموعها قبل أن تنحدر، وهي تقول في غضب:

- وهل ستقتلني بالفعل يا (نيكولاي)؟!... هل ستقتلني، لمجرد أنهم أمروك بهذا؟!

كرَّر في حدة:

- إنني مضطر.

ثم سدَّد المسدس إلى رأسها، وأضاف:

- الوداع يا (ناتاليا)... الوداع.

وضغط الزناد...

بلا أدنى تردّد...

***

انطلق (مارتن) بالسيارة الأمريكية الفاخرة، وشفتاه تحملان ابتسامة ساخرة شامتة كبيرة، في حين استرخى (دارك) في المقعد الخلفي، إلى جوار (أشرف)، وأشعل سيجارته في بطء، متجاهلًا

حالة التوتر التي يمرّ بها (أشرف)، ثم نفث دخان السيجارة في عمق، والتفت إلى هذا الأخير، وقال:

- أتعلم كم كلفنا الحصول على قرار الإفراج عنك؟!

هتف (أشرف) في دهشة:

- كلَّفكم؟!... أتعني أنكم...

قاطعه (دارك) في حدة:

- بالطبع... أكنت تظن أن عدالة ونزاهة القضاء هنا هي التي حصلت على قرار البراءة لك؟!... لا يا رجل... لقد استأجرنا (ناظم حكمت)... أشهر محام في (إسطنبول)، ورشونا قاضي المعارضات، ووكيل النائب العام أيضًا.

سأله (أشرف) في دهشة:

- ولماذا كل هذا؟!

ارتسمت على شفتيْ (دارك) ابتسامة كبيرة، عجز (أشرف) عن قراءة ما تخفيه، وهو يقول:

- محاولة لإثبات حسن النوايا.

ثم تلاشت ابتسامته بغتة، وأطلَّت من عينيه نظرة صارمة، وهو يستطرد:

- وثمن لما نطلبه منك.

انكمش (أشرف) في مقعده، وهو يقول:

- وما الذي تطلبونه؟!

نفث (دارك) دخان سيجارته في قوة مرة أخرى، وقال:

- الأسطوانة... أسطوانة الكمبيوتر يا مستر (أشرف).

تنحنح (أشرف)، وازدرد لعابه، وأجاب:

- كنت أتمنى منحك إياها يا مستر (دارك)، ولكنها تحطَّمت، و...

قاطعه بزمجرة مخيفة، جعلته يبتلع باقي عبارته في توتر، قبل أن يهتف (دارك) في غضب:

- لماذا تفعل هذا بحق الشيطان؟!

سأله (أشرف) في دهشة:

- أفعل ماذا؟!

صاح (دارك) غاضبًا:

- لماذا تنحاز إلى السوفييت على هذا النحو؟!

هتف (أشرف) مستنكرًا:

- أنحاز إليهم؟!

لوَّح (دارك) بذراعيه، صائحًا:

- إنك تقاتل معهم في حماس، وكأن قضيتهم قضيتك، على الرغم من أن ملفك لا يحوي أية إشارة إلى ميول شيوعية سابقة.

اتسعت عينا (أشرف)، وهو يهتف:

- ملفي؟!... ميول شيوعية؟!... ماذا تقول يا مستر (دارك)؟!... أتملكون ملفًا كاملًا عني؟!.

أجابه (دارك) في حدة:

- بالطبع... أنت تعمل في شركة كمبيوتر أمريكية... أليس كذلك؟!

أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا، وهو يحدِّق في وجه (دارك) مبهوتًا، دون أن ينبس ببنت شفة، فتابع (دارك) في غضب:

- لقد علمنا هذا من جواز سفرك، واتصلنا بالشركة في (القاهرة)، وحصلنا منها على ملفك كله، بوساطة (الفاكس).

ازدرد (أشرف) لعابه في صعوبة، وقال:

- حسنًا يا مستر (دارك)... ما الذي تريده مني بالضبط؟!

تراجع (دارك)، وسحب نفسًا عميقًا من سيجارته، وقد أيقن من سيطرته على (أشرف)، في هذه اللحظات على الأقل، وقال:

- ستتعاون معنا... أليس كذلك؟!

تمتم (أشرف):

- بالطبع.

قال (دارك) على الفور، وبلهجة تقطر الصرامة من كل حرف من حروفها:

- أريد نسخة الأسطوانة.

جفَّ حلق (أشرف)، وهو يتمتم:

- نسخة الأسطوانة؟!

أومأ (دارك) برأسه إيجابًا، وقال في صرامة:

- لقد سجلنا حديثك مع السوفييتية، وعلمنا منه أنك تمتلك نسخة ثانية من الأسطوانة، ونحن نريدها.

شعر (أشرف) أن الفخ الأمريكي يطبق فكيه عليه في إحكام...

إنهم يعلمون عنه كل شيء...

كل تاريخه...

وعلاقاته...

وحتى همساته...

وفي أعماقه شعر بالخطأ، لانحيازه -غير المفهوم- إلى الجانب السوفييتي...

وتساءل عن السر في هذا...

أهو قوة الأمريكيين، أمام فتاة وحيدة مثل (ناتاليا)؟!.

أم هو جمال هذه السوفييتية الحسناء؟!..

أو ربما هو رد فعل طبيعي، بعد أن قتل الأمريكيون (هيلجا)، على سطح السفينة، وألقوه في البحر للتخلص منه ...

ولكن أيًّا كانت الأسباب، فقد أخطأ...

كان ينبغي عليه أن يسلم الأسطوانة إلى الأمريكيين، وينهي علاقته بالأمر كله، قبل أن يصبح مجرد ضحية له...

وبصوت جاف غليظ، أيقظه (دارك) من أفكاره، قائلًا:

- ما قولك يا مستر (أشرف) ؟!

انتفض (أشرف)، وهو يقول:

- ولكن هناك مشكلة.

سأله في غضب:

- أية مشكلة؟!

أجابه (أشرف):

- لقد أعطيت مفتاح الخزانة لـ(ناتاليا).

انعقد حاجبا (دارك) في غضب شديد، وهو يهتف:

- أعطيتها إياه؟!

أسرع (أشرف) يقول:

- لن يمكنها الحصول على نسخة الأسطوانة بالمفتاح وحده.

ثم انخفض صوته، وهو يستطرد:

- ولن يمكنني الحصول عليها أيضًا، دون المفتاح.

انعقد حاجبا (دارك)، وهو يدرس هذه المشكلة الجديدة...

كان يعلم جيدًا أن نظام الأمن في الفنادق الكبرى، لا يسمح بفتح أية خزانة دون استخدام مفتاحها الخاص، بالإضافة إلى توقيع مسجل لديهم...

وكان (أشرف) يملك التوقيع...

ولكنه لا يملك المفتاح...

وفي رأس (دارك)، دارت عدة حلول محتملة...

هل يقتحم حجرة الخزائن، ويسرق الأسطوانة؟!...

بدا له أشبه بعقدة أكبر، إذ كان اقتحام حجرة الخزائن يحتاج إلى قوة ضخمة، وعمل أشبه بحوادث السطو المسلح، لن تتغاضى عنه الشرطة بسهولة، وسيثير من الضجيج ما يتعارض مع سرية المهمة...

ومن المستحيل صنع مفتاح زائف للخزانة، دون وجود المفتاح الأصلي...

لم يكن هناك سوى حل واحد إذن...

العثور على السوفييتية، واستعادة المفتاح منها...

وفي صرامة، قال (دارك):

- لا بأس يا مستر (أشرف)... ستعود إلى حجرتك، بفندق (هيلتون إسطنبول)، وستنتظر هناك، حتى نستعيد المفتاح، ثم تفتح الخزانة، وتسلمنا الأسطوانة.

سأله (أشرف):

- وهل ستسمحون لي بالرحيل بعدها؟!

ابتسم (دارك) ابتسامة غامضة، وقال:

- بالطبع... وسنعاونك على أن ترحل.

وارتجفت الدماء في عروق (أشرف)، وقد أدرك ما يعنيه (دارك)...

إنهم سيساعدونه على الرحيل...

الرحيل من عالم الأحياء...

نهائيًّا.

***

- ١٠ -

تمرَّد

لم يتردَّد (نيكولاي) لحظة واحدة، وهو يضغط زناد مسدسه...

صحيح أنه يرتبط بعلاقة حب قديمة مع (ناتاليا)، وأنه أكثر من تمنحه ثقتها، إلا أنه لم يتردَّد لحظة واحدة في تنفيذ أوامر رؤسائه، ونسف رأسها برصاصة مباشرة...

ولكن هذا لم يحدث...

لقد ضغط (نيكولاي) زناد المسدس على نحو صحيح، وهو لا يخطئ عادة إصابة الهدف، كما أن (ناتاليا) لم تتحرك من مكانها قيد أنملة...

ولكن الرصاصة لم تنطلق...

وهذا لأنها لم تكن -بكل بساطة- داخل المسدس...

وارتفع حاجبا (نيكولاي) في دهشة، وضغط الزناد مرة ثانية، وثالثة، ورابعة...

ثم شحب وجهه تمامًا...

وفي برود، قالت (ناتاليا):

- معذرة يا عزيزي (نيكولاي)، نسيت أن أبلغك أن خزانة المسدس فارغة.

ثم ارتفعت يدها بمسدس الأمريكي الذي اختطفه (أشرف)، وأعطاها إياه، وصوّبته إلى (نيكولاي)، مستطردة:

- أما هذا، فلم تنطلق منه رصاصة واحدة بعد.

ألقى (نيكولاي) مسدسها من يده، وهتف:

- لا يا (ناتاليا)... لا تفعلي.

قالت في مرارة:

- لماذا يا عزيزي (نيكي)؟!... إنك لم تتردّد لحظة واحدة في فعلها.

تراجع، وهو يقول في انهيار:

-كنت مضطرًا يا (ناتاليا)... إنها الأوامر.

قالت في غضب وازدراء:

- سحقًا للأوامر... وداعًا يا (نيكولاي).

ضغطت زناد مسدسها، في نفس اللحظة التي قفز فيها جانبًا، وتجاوزته الرصاصة بسنتيمتر واحد على الأكثر، وهو ينقضّ عليها، صائحًا:

- ليس بهذه البساطة يا عزيزتي.

أمسك معصمها في قوة، ورفع فوهة مسدسها عاليًا، وهو يمسك عنقها بيمناه في عنف، مستطردًا:

- وليس بالرصاص وحده يلقى المرء مصرعه.

ارتفعت ركبتها تضربه بين ساقيه، وهي تهتف:

- صدقت.

ثم ارتفعت قبضتها إلى عنقه، وشعر بوخزة مؤلمة في موضع الضربة، فأطلق صيحة ألم حادة، وتراجع واضعًا يده على عنقه، وهو يحدِّق في وجهها بذعر، هاتفًا:

- هل استخدمت خاتمك؟!

أومأت برأسها إيجابًا، فجحظت عيناه في قوة، ثم انكفأ على وجهه صريعًا...

وهنا انحدرت الدموع من عيني (ناتاليا)، وهي تغمغم:

- لماذا يا (نيكي)؟!... لماذا أجبرتني على هذا؟!

ولأول مرة في حياتها، انهمرت دموعها كالسيل...

* * *

وقف (أشرف) في شرفة حجرته، بفندق (هيلتون إسطنبول)، يتطلَّع إلى (البوسفور) في توتر بالغ...

لقد تورَّط في هذا الأمر حتى النخاع...

كان يحلم بإجازة ممتعة في (إسطنبول)، فإذا به يقضي ساعاته مطاردًا، وينغمس في صراع يفوق قدراته وإمكاناته ...

صراع من تلك الصراعات، التي لم يكن يتصوَّر وجودها في عالم الواقع، والتي طالما سخر من زميله، وهو يكتب رواياته عنها...

ولكن ها هو ذا الصراع يقترب من نهايته...

سيعثرون حتمًا على (ناتاليا)، ويستعيدون المفتاح منها، و...

انقبض قلبه فجأة، عندما بلغ هذا الحد من تفكيره، وهفت

نفسه لرؤية (ناتاليا)، وهو يستعيد ملامحها الفاتنة في ذهنه، ويتمنى لو لم تكن متورِّطة بدورها في كل هذا، ولو لم يكن قد التقى بها، في مثل هذه الظروف، و...

انقطعت أفكاره بغتة، بصوت ذلك الأمريكي الضخم، الذي تركه (دارك) معه؛ لضمان عدم فراره، وهو يقول في غلظة:

- ألديك سجائر هنا؟!

أجابه في ضيق:

- إنني أمقت التدخين.

ابتسم الأمريكي في سخرية، وقال:

- حقًّا؟!

ثم نهض إلى الهاتف الداخلي للفندق، ورفع سمّاعته، قائلًا:

- أريد علبة سجائر أمريكية، وزجاجة من أفخر أنواع الويسكي لديكم.

ذكر رقم الحجرة، وأنهى الاتصال، قائلًا بابتسامة صفراء:

- اطمئن أيها المصري... سيدفع مستر (دارك) النفقات كلها.

تمتم (أشرف):

- لا بأس.

كان يشعر بالحنق؛ لوجود ذلك الخرتيت في حجرته، ويتمنى لو صفعه على مؤخرة عنقه، وألقاه خارج الحجرة، لولا ذلك المسدس المعلَّق تحت إبطه...

وفجأة ارتفع صوت الطرقات الهادئة على باب الحجرة،

فرفع الأمريكي حاجبيه، هاتفًا في دهشة:

- يا للشيطان!.. الخدمة تتمّ هنا بسرعة رائعة.

ولكنه انتزع مسدسه، على الرغم من قوله، واقترب من الباب في حذر، وانحنى يتطلَّع من ثقبه إلى القادم، ثم اعتدل قائلًا:

- من القادم؟!

لم يكن قد رأى سوى جزء من السترة الرسمية، التي يرتديها خدم الفندق، ولكن هذا كان يكفي لمنحه شيئًا من الاطمئنان، زاده صوت القادم، الذي أجاب بصوت مكتوم، يوحي بأن صاحبه يحمل شيئًا ثقيلًا:

- خدمة الغرف يا سيِّدي.

مد يده يفتح باب الحجرة، وهو يعيد مسدسه إلى غمده، قائلًا:

- هل أحضرت أفضل أنواع الـ...

بتر عبارته ليحِّدق في وجه تلك الشقراء، التي اندفعت داخل الحجرة، وهي تحمل صندوقًا متوسط الحجم، وهتف (أشرف)، في لهجة حملت رنة فرح واضحة:

- (ناتاليا)!.

عقد الأمريكي حاجبيه، وقفزت يده نحو مسدسه مرة أخرى، وهو يهتف:

- اللعنة!

ولكن (ناتاليا) تركت الصندوق دفعة واحدة، فهوى على قدمي

الأمريكي، الذي أطلق صرخة ألم عنيفة، وانثنى جسده للحظة، أخرجت (ناتاليا) خلالها المسدس الضخم من جيب سترتها، واستجمعت كل قواها، وهوت بكعبه على فك الرجل، الذي أطلق حشرجة عجيبة، ثم هوى كبرميل ضخم، ارتطم بأرضية الحجرة في عنف، ثم ساد سكون لحظي، قطعه (أشرف) مكرّرًا:

- (ناتاليا)!.

اندفع نحوها في سعادة جمَّة، ولكنها أدارت فوهة مسدسها إليه في شراسة واضحة، جمَّدته في مكانه، وهو يهتف:

- (ناتاليا) ... ماذا أصابك؟!

سألته في غلظة:

- لماذا يحيطك الأمريكيون بحراستهم؟!

صاح في سخط:

- بل قولي: لماذا يحيطونني بأسوارهم؟!... هذا الرجل هنا لمنعي من الفرار، لا لحراستي من المعتدين.

ظلَّت لحظة تتطلَّع إليه في شك وخشونة...

لم تثق في كلماته على الفور، على الرغم من منطقيتها...

كانت قد فقدت كل لمحة ثقة في حياتها، بعد ما خانها (نيكولاي)...

ولكن العجيب أن هذه الثقة عادت إليها بغتة، وهي تتطلَّع إلى وجه (أشرف)، فلانت ملامحها فجأة، وتراخى مسدسها إلى جوارها، وهي تقول:

- هل أخبرتهم بأمر الأسطوانة الثانية؟!

أجابها في سرعة:

- لقد علموا به وحدهم... كانوا يسجلون أحاديثنا هنا.

تلفَّتت حولها، وهي تهتف:

- هنا.

ثم أمسكت يده، وهي تعيد المسدس إلى جيبها الداخلي، وتنزع السترة الرسمية التي ترتديها، قائلة:

- هيا بنا إذن.

سألها:

- إلى أين؟!

أخرجت من جيبها مفتاح الخزانة، وناولته إياه، قائلة:

- سنستعيد نسخة الأسطوانة أوَّلًا.

قال في توتر:

- وماذا لو أن الأمريكيين يراقبون حجرة الخزائن؟!

قالت في لهجة عجيبة:

- إنهم يراقبونها بالفعل.

هتف:

- يراقبونها؟!... وهل تنتظرين مني أن أهبط لاستعادة الأسطوانة، ثم أمنحك إياها بكل بساطة، وهم يراقبون حجرة الخزائن؟!... لا يا عزيزتي (ناتاليا)... لقد عانيت الكثير حتى الآن، واحتملت الأكثر، في صراعاتكم السخيفة هذه، ولكنني

لست مستعدًا، ولو للحظة واحدة للتضحية بنفسي، من أجل أن يربح أحدكما.

قالت في حدة:

- ومن قال إنك ستخاطر، أو تضحي بنفسك من أجل أحدنا؟!

هتف:

- من أجل من إذن؟

انعقد حاجباها الجميلان، وهي ترمقه بنظرة صامتة طويلة، ثم أشاحت بوجهها، قائلة:

- سأعترف لك أولًا، بأنني لا أعمل لحساب شركة كمبيوتر بريطانية، كما سبق أن أخبرتك.

غمغم:

- كنت أعلم هذا.

لوَّحت بكفها، وقالت:

- وهذه الأسطوانة لا تحوي تفاصيل لعبة جديدة بالطبع.

أتى من خلفها صوت خشن، يقول:

- أنا أيضًا أعلم هذا.

تراجع (أشرف) في حركة حادة، والتفتت (ناتاليا) حولها في سرعة، لتواجه (دارك) و(مارتن)، والأوَّل يتابع:

- أما أنت فلا تعلمين أننا سمعنا كل حرف.

ضرب (أشرف) جبهته براحته، وهو يهتف:

- يا إلهي!... كيف نسيت هذا؟!... أجهزة التسجيل لا تزال هنا!

ابتسم (دارك) في ظفر شرس، وهو يقول:

- وأجهزة تصنت بالغة الدقة أيضًا، نقلت إلينا كل حرف نطقتماه هنا، فأسرعنا إليكما على الفور.

رفعت (ناتاليا) مسدسها نحوهما، وهي تقول في برود:

- ولكنك نسيت أنني أحمل مسدسًا أيضًا، يا عزيزي (دارك).

أجابها في غلظة:

- مسدس واحد مقابل مسدسين.

جاء رد فعلها لعبارته مدهشًا...

بل مذهلًا بحق...

لقد أطلقت رصاصة من مسدسها فجأة، على رأس (مارتن)، ثم أعادت فوهة المسدس في سرعة إلى (دارك)...

وجحظت عينا (مارتن)، في ألم وذهول، وسقط دون حرف واحد، تحت قدمي (دارك)، الذي صاح في غضب:

- أيتها اللعينة!

هتفت في صرامة:

- أصبحنا متعادلين يا مستر (دارك)... مسدس مقابل مسدس.

اتسعت عينا (أشرف)، في ذعر وذهول، إزاء البساطة

الشديدة، التي أزهقت بها (ناتاليا) روح (مارتن)، ولكنه لم ينبس ببنت شفة من هول الموقف؛ في حين قال (دارك) في عصبية وهو يلوِّح بمسدسه في وجه (ناتاليا):

- يمكنني أن أضغط زناد مسدسي فحسب، و...

قاطعته هي في قسوة:

- ولا يوجد ما يمنعني من أن أفعل.

قال (دارك) في حدة:

- إنك لن تحصلي على هذه النسخة أبدًا... ليس وأنا على قيد الحياة.

أجابته ساخرة:

- هل تحاول إغرائي بإطلاق النار؟!

قال في غضب:

- افعلي لو أردت، ولكنني سأنسف رأسك، بمجرد تفكيرك في ذلك.

صاح (أشرف) فجأة:

- كفى... لقد سئمت كل هذا.

أدار (دارك) إليه فوهة مسدسه، وهو يهتف في غضب:

- اصمت أيها المصري، وإلا...

كان هذا هو الخطأ الذي ارتكبه...

لقد أدار فوهة مسدسه بعيدًا عن (ناتاليا) لحظة واحدة، أحسنت السوفييتية استغلالها، فهوت بمسدسها على فك

(دارك)، بكل ما تملك من قوة، على نحو دفع الأمريكي إلى الخلف، وضرب ظهره بالحائط، قبل أن يعتدل هاتفًا:

- أيتها اللعينة!

ولكن (ناتاليا) هوت على فكه مرة أخرى بالمسدس، فارتطم بالحائط مرة أخرى، وسقط مسدسه من يده، وتفجَّرت الدماء من زاوية فمه، وهو يهمهم بعبارة ساخطة، أخرستها (ناتاليا) بضربة ثالثة، أشد عنفًا من سابقتيها، دارت لها عينا الأمريكي في محجريهما، ثم سقط فاقد الوعي، فهتف (أشرف) مبهوتًا:

- يا إلهي!... لقد فقد الوعي.

أجابته (ناتاليا) في حزم:

- سيستعيد وعيه بعد نصف ساعة على الأكثر، فهو من النوع القوي البنية، وهذا يعني ضرورة الإسراع باستعادة نسخة الأسطوانة.

قال (أشرف) في صرامة:

- لا شيء يدعوني لاستعادتها الآن... لن أتعاون مع قاتلة.

هتفت به في غضب:

- قلت لك: سنستعيدها على الفور، وستتعاون مع هذه القاتلة، لأن ذلك في مصلحتك.

قال في عناد:

- لن يمكنك إقناعي بهذا.

زفرت في حدة، وقالت:

- اسمع... هل تدرك طبيعة محتويات هذه الأسطوانة؟!... إنها تحوي تصميمات عسكرية بالغة السرية، مسروقة من جيش يهمك أمره.

سألها في حذر:

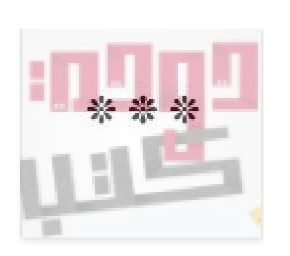
- أي جيش؟!

انعقد حاجبها في صرامة، وهي تقول:

- هذه التصميمات مسروقة منكم... من الجيش المصري بالتحديد.

وكانت المفاجأة عنيفة بالفعل...

وإلى أقصى حد.



* * *

- ١١ -

أسرار مصرية

شبَّك الملحق العسكري السوفييتي أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يعقد حاجبيه، ويتطلَّع إلى التقرير العاجل الذي تلقَّاه من رجال المراقبة في (إسطنبول)، ثم لم يلبث أن أطلق زفرةً حارةً من أعمق أعماق قلبه وهو يتمتم في توتر:

- الأمور تزداد تعقيدًا في كل خطوة.

قالها، والتقط سمَّاعة هاتفه الخاص واتصل بـ(موسكو) مباشرة، ولم يكد يسمع صوت رئيسه حتى اعتدل وهو يقول:

- إنه أنا أيها الرفيق الرئيس... نعم... (كلاشينكوف)... لقد فشل (نيكولاي).

بدا التوتر على وجهه وهو يستمع إلى رئيسه الغاضب، وبدأ عرق بارد يتصبَّب على وجهه، وهو يقول في شيء من القلق:

- لا أيها الرفيق... (ناتاليا) هي التي قتلته... لست أدري كيف كشفت أمره، ولكن رجالنا عثروا عليه صريعًا، في المنزل الآمن رقم (٦)... لا... لم نحدِّد سبب الوفاة بعد، ولكن الوجه المنتفخ والـ... نعم.. نعم... أيها الرفيق.. بخاتمها المسموم على الأرجح.

وازدرد لعابه في صعوبة، وهو يستمع مرة أخرى في انتباه، ثم جفَّف عرقه بمنديله وهو يقول:

- كما تأمر أيها الرفيق الجنرال... بالطبع... بالتأكيد.. سننفذ الأمر على الفور.

وأنهى الاتصال وهو يطلق زفرة متوترة، ويهتف:

- اللعنة على (ناتاليا) هذه... إنها تسبِّب لي إزعاجًا لا يحتمل.

ثم ضغط زر الاتصال بينه وبين مدير مكتبه، وقال في حدة:

- أرسل في طلب (يوري).

ونهض من خلف مكتبه، وراح يتطلَّع إلى خريطة كبيرة لـ(تركيا) حتى سمع دقات خفيفة على باب مكتبه، فقال دون أن يلتفت:

- ادخل يا (يوري).

دلف إلى مكتبه شاب ممشوق القوام، متين البنيان، أسود الشعر، يبدو في مظهره العام أقرب إلى الشرقيين، منه إلى السوفييت، والتفت إليه (كلاشينكوف) قائلًا:

- عندي مهمة لك يا (يوري).

اعتدل الشاب وهو يقول في حزم:

- في انتظار أوامرك أيها الرفيق.

عقد (كلاشينكوف) كفيه خلف ظهره وسأله:

- هل تعرف (ناتاليا)؟!

رفع الشاب أحد حاجبيه وقال:

- بالطبع... لقد التقيت بها هنا منذ يومين...

قال (كلاشينكوف) في صرامة:

- لقد صدرت الأوامر بالتخلص منها فورًا.

ظلّ (يوري) هادئًا، وهو يقول:

- هل من معلومات؟!

ألقى إليه ملفًّا صغيرًا، وهو يقول:

- ستجد كل المعلومات المطلوبة هنا.

ثم التقى حاجباه وهو يستطرد:

- بأقصى سرعة يا (يوري).

أجابه (يوري) على الفور:

- بأقصى سرعة أيها الرفيق.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة...

ومخيفة...

جدًّا...

* * *

حدَّق (أشرف) طويلًا في وجه (ناتاليا) قبل أن يقول بصوت متحشرج مبحوح:

- ماذا تقولين؟!

أجابته في صرامة:

- أقول: إن كل الأسرار، التي تحويها أسطوانة الكمبيوتر، تخصّ الجيش المصري... وسلاح الطيران بالتحديد...

عجزت قدماه عن حمله، فترك جسده يهوي فوق أقرب مقعد إليه وهو يقول بصوت مختنق، حمل الكثير من هلعه وارتياعه:

- لو أنك تحاولين خداعي، فـ...

قاطعته في حدة:

- لا وقت للخداع... ما أقوله لك حقيقة لا تقبل الجدل... هذه الأسطوانة تحوي معلومات بالغة السرية، تخص سلاح الطيران المصري، ولقد سرقتها (هيلجا) من مهندس طيران مصري، ثم تخلَّصت منه، ومن كل نسخ الأسطوانة، بحيث أصبحت هذه النسخة التي صنعتها أنت، هي النسخة الوحيدة في العالم أجمع التي تحوي تلك الأسرار.

عاد يحدِّق في وجهها لحظة، ثم انتفض هاتفًا:

- في هذه الحالة لا بد من تدمير هذه الأسطوانة على الفور.

هتفت:

- حذار أن تفعل.

ثم استدركت في سرعة:

- المصريون أيضًا يحتاجون إلى هذه المعلومات.

قال في عصبية:

- لا تحاولي خداعي مرة أخرى.

قالت في توتر:

- أقسم لك إنها الحقيقة... وينبغي أن تصدقني، فلم يعد هناك مبرر للكذب... لقد انقلبت عليَّ دولتي، وصدر أمر بالتخلص مني، والأمريكيون يسعون خلفي في الوقت ذاته، ولم يعد لي ملاذ سوى...

وخفت صوتها، وهي تضيف:

- سوى (مصر).

هتف في دهشة:

- (مصر)؟!

أجابته بسرعة:

- نعم.. عندما أعيد الأسطوانة إلى (مصر)، بكل ما تحويه من معلومات، سيمكنني عندئذ طلب حق اللجوء السياسي هناك.. صحيح أنهم سيستجوبونني لعام على الأقل، في أروقة جهاز المخابرات المصري، ولكنه ثمن مناسب، مقابل حياتي واستقراري.

تطلَّع إليها طويلًا في شكّ، فقالت:

- فليكن... لا تصدقني الآن، ولكن دعنا نستعيد الأسطوانة، ونغادر هذا المكان بأقصى سرعة... هيا.

هبَّ من مقعده، وهو يقول:

- نعم... هيا بنا.

غادرا الحجرة في حذر، وأسرعا إلى موظف الأمانات، وقدَّمت له (ناتاليا) مفتاح الخزانة، و(أشرف) يقول في توتر:

- جئت لاسترداد متعلقاتي.

رمقه الموظف بنظرة هادئة، وهو يقول:

- هذا حقك يا سيِّدي.

ثم قادهما إلى حجرة واسعة، امتلأت جدرانها بأعداد لا

حصر لها من خزائن صغيرة، وكل منها تحمل رقمًا خاصًّا، وسألت (ناتاليا):

- إنها رقم ألف وسبعة... أليس كذلك؟!

أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا وهو يتطلَّع في دهشة إلى الموظف الذي وقف مبتسمًا، فالتفتت إليه (ناتاليا) وقالت في صرامة:

- أليس من المفترض أن تغادر الحجرة قبل شروعنا في فتح الخزانة؟!

هزَّ الموظف رأسه نفيًا، دون أن تتلاشى ابتسامته، وهو يقول:

- هذا يحدث في البنوك فقط يا سيِّدتي.

بدا عليها الشك والغضب، ولكنها اتجهت على الفور إلى الخزانة وفتحتها، وتنهَّدت في ارتياح، عندما وجدت الأسطوانة تستقر داخلها، ومدَّت يدها تلتقطها، ولكنها سمعت (أشرف) يقول:

- أعتقد أنه لا داعي لهذا.

التفتت إليه قائلةً في حدة:

- ماذا تعني؟!... أليس...

بترت عبارتها بغتةً، وانعقد حاجباها في غضب، عندما رأت الأمريكي (توم) يقف إلى جوار (أشرف)، ويصوِّب مسدسه إلى رأسه مباشرةً وهو يقول:

- يعني أننا سنأخذ نحن الأسطوانة، وشكرًا لجهدك.

اجتاحها غضب هادر وهي تنقل بصرها ما بين موظف

الأمانات، الذي حملت ابتسامته الكثير من السخرية هذه المرة، و(توم) الذي يتطلَّع إليها في صرامة، و(أشرف) الذي تنهَّد قائلًا في مرارة:

- لقد فاجأني.

فكَّرت في انتزاع مسدسها، وإطلاق النار على (توم) مباشرةً، ولكن هذا الأخير أدار فوهة مسدسه إليها، وهو يقول:

- حذار أن تقفز إلى ذهنك أية فكرة حمقاء، فمسدسي متأهِّب لإطلاق النار دون تردّد، وأنا أراقبك بكل الانتباه والتحفز.

هتف (أشرف) بغتة:

- ولكنك لا تراقبني أنا.

قالها وهوى على يد الأمريكي بضربة عنيفة، أزاحت المسدس جانبًا، فالتفت إليه الأمريكي، هاتفًا في غضب:

- أيها الحقير.

تراجع (أشرف) بحركة سريعة، ثم التقط مقعدًا معدنيًّا، وهو يقول في عصبية:

- حذار أن تقترب مني، وإلَّا ..

ولكن الأمريكي أطلق زمجرةً مخيفةً، وانقضّ عليه كثور هائج، فهوى عليه (أشرف) بالمقعد المعدني، ولكن الأمريكي التقط المقعد بقبضتيه في قوة، وانتزعه من يد (أشرف)، وألقى به جانبًا، وهو يهتف:

- خسرت فرصتك أيها المصري.

لم يكد يتمّ هتافه، حتى هوت (ناتاليا) على مؤخرة رأسه بمقعد معدني آخر وهي تقول:

- وماذا عن فرصتي أنا؟!

جحظت عينا (توم)، وهوى على وجهه فاقد الوعي والدماء تنزف من جرح في رأسه، في حين انكمش موظف الأمانات في رعب وهو يقول:

- الرحمة... لقد أجبرني على...

أخرسه (أشرف) بلكمة قوية، ارتطم لها رأس الموظف بإحدى الخزانات المعدنية وسقط بدوره فاقد الوعي، وقالت (ناتاليا):

- كان ينبغي أن نتوقَّع هذا.

سألها (أشرف) في عصبية:

- ولكن ماذا سنفعل الآن؟!... أراهن أن الشرطة التركية كلها ستنطلق خلفنا... إننا نترك المصابين والقتلى خلفنا، في كل مكان نتوقَّف عنده.

قالت وهي تجذبه من يده إلى الخارج:

- لا تفكر في هذا الأمر الآن.

هتف في حدة:

- ومتى تقترحين أن أفكِّر فيه؟!... وحبل المشنقة يلتف حول عنقي؟!

جذبته إليها، وهي تحضه على السير ببطء؛ خشية لفت

الأنظار وقالت:

- لا أعتقد أن الأمر سيبلغ هذا الحد.

قال في عصبية:

- حقًّا؟!... هل تفضلين حجرة الغاز، أم المقصلة، أم الكرسي الكهربائي؟!

قالت في توتر:

- بل أفضل الفرار من (تركيا) كلها.

لوَّح بيده، قائلًا في سخط:

- عظيم... يا لها من فكرة عبقرية!... وكيف تقترحين أن نفعل أيتها العبقرية؟!... باستخدام طاقية الإخفاء أم بساط الريح؟!

جذبته في عنف وهي تقول:

- انتبه... ستجذب الأنظار كلها إلينا.

جذبها بدوره وهو يقول في حدة:

- وهل يعنيك هذا حقًّا، بعد كل ما...

ولم يتم عبارته...

لقد جاءت جذبته في وقتها بالضبط، فلم يكد يجذبها إليه، حتى عبرت إلى جوار أذنها رصاصة، ارتطمت بالجدار خلفها، وسقطت عند قدميها، فأدارت عينيها إلى مصدرها في سرعة، في حين هتف (أشرف) مذعورًا:

- ما هذا؟!

اتسعت عينا (ناتاليا) وهي تهتف:

- (يوري)!.

سألها (أشرف) في عصبية:

- من؟!

جذبته في قوة، هاتفةً:

- انخفض أولًا.

أطاعها في سرعة في نفس اللحظة التي انطلقت فيها رصاصة (يوري) الثانية، وهشَّمت زجاج بازار صغير في بهو الفندق، فانطلقا يعدوان خارجه -في حين ساد الهرج والمرج في البهو- وانطلقت صرخات الذعر والفزع، ولكن (يوري) تجاوز كل هذا وانطلق خلفهما، واستوقفه رجل أمن الفندق وهو يقول في صرامة:

- سيِّدى... هذا المسدس الذي تحمله..

لم يسمح له (يوري) بإتمام عبارته، وإنما هوى على فكه بمسدسه، وأزاحه عن طريقه، ولكن زميل رجل الأمن انتزع مسدسه، وصاح:

- توقف وإلَّا.

التفت إليه (يوري) بحركة سريعة وأطلق عليه النار؛ فسقط الرجل صريعًا وتضاعفت صرخات الفزع؛ في حين انطلق (يوري) يعدو خلف (أشرف) و(ناتاليا)، اللذيْن انحرفا في ممر ضيق، من ممرات (إسطنبول) التجارية، و(أشرف) يلهث، هاتفًا

في انفعال:

- من هذا أيضًا؟!

أجابته (ناتاليا) في توتر شديد:

- (يوري مالينوفيتش)... قاتل محترف.

اتسعت عيناه في هلع، وهو يقول:

- قاتل محترف؟!... هل بلغنا هذا الحد؟!

قالت في عصبية:

- من الواضح أن القيادة في (موسكو) قد اتخذت قرارًا بالتخلص مني... لقد أصبحت أشكّل خطرًا عليهم؛ فهي ثاني محاولة لقتلي.

كان يلهث بشدة وهو يقول:

- الثانية؟!

أجابته في حنق واضح:

- نعم... والأولى كانت بوساطة خطيبي السابق (نيكي).

توقف يسألها مبهورًا:

- خطيبك السابق؟!... وماذا فعلت به؟!

أجابته في حدة:

- وماذا كنت تنتظر؟!... قتلته بالطبع.

سرت في جسده قشعريرة وهو يقول:

- قتلتِه؟!

عادت تجذبه في قوة وهي تقول:

- دعنا لا نضيع الوقت، فلن يلبث (يوري) أن يلحق بنا... إنه مثلي، يحفظ (إسطنبول) عن ظهر قلب.

ولكنه توقف قائلًا في صرامة:

- أعطني الأسطوانة.

قالت في عصبية:

- لا وقت لهذا.

صاح في حدة:

- قلت: أعطني إياها... الآن.

بدا الغضب على ملامحها، وهي تقول:

- فليكن... إنك لا تثق بي، ولكنني سأخيب ظنك.

وناولته الأسطوانة، فالتقطها منها بلهفة، وقال:

- انتظريني قليلًا.

قالت في عصبية:

- لن يمكننا الانتظار لحظةً واحدةً... قلت لك: إن (يوري)...

جذبها إلى مقهى قريب، وهو يقول:

- لست أظنه يبحث عنا في كل متجر.

صاحت في توتر:

- أهذا ما تظنه!... ها هو ذا قادم.

استدار في سرعة، ورأى (يوري) قادمًا عبر الممر التجاري، فهتف بها:

- انطلقي.

سألته في توتر:

- وماذا عنك؟!

صاح بها:

- قلت: انطلقي.

كانت تشعر بمزيج من الغضب والحنق والندم، لأنها أعطته الأسطوانة، ولكنها لم تملك سوى الانطلاق بأقصى سرعتها، عبر الممر التجاري، فلمحها (يوري) وهي تعدو وهتف:

- لن تجدي مهربًا يا عزيزتي (ناتاليا).

كانت تعدو بكل قوتها، ولكن الممر كان ضيقًا ومزدحمًا و...

وارتطمت (ناتاليا) فجأةً بكومة من الأقمشة ففقدت توازنها، وسقطت على وجهها، وحاولت النهوض بسرعة، ولكنها سمعت (يوري) يقول، على قيد متر واحد منها:

- لا فائدة يا (ناتاليا)... إنها محطتك الأخيرة.

قالها وهو يجذب إبرة مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت، وشفتاه تحملان نفس الابتسامة الهادئة...

ابتسامة الموت.

***

- ١٢ -

هاربان في (إسطنبول)

كان (يوري) يصوِّب مسدسه في إحكام، والمسافة التي بينه وبين (ناتاليا) لا تتجاوز مترًا واحدًا، ولا أحد يجرؤ على اعتراضه وهو يحمل مسدسه، وسط ذلك الممر التجاري في (إسطنبول)، ولكن (ناتاليا) هتفت فجأةً وهي تتطلَّع إلى ما خلف (يوري):

- هيا... اضربه.

اتسعت ابتسامة (يوري) وهو يقول:

- خدعة قديمة قِدَم الدهر يا عزيزتي (ناتاليا)، ولست أخالك تتوقعين مني أن...

قبل أن يتمّ عبارته، كان (أشرف) قد هوى على مؤخرة رأسه بتمثال نحاس، اختطفه من أحد متاجر العاديات في الممر، فسقط (يوري) أرضًا، وتجاوزه (أشرف) بوثبة واسعة، وهو يقول لـ(ناتاليا):

- أسرعي.

عاونها على النهوض وعادا يعدوان وسط الممر، في حين لم يفقد (يوري) وعيه، وإنما شعر بدوار شديد وهو ينهض في صعوبة مغمغمًا:

- اللعنة!... لم تكن خدعة.

وصوَّب مسدسه إليهما، وأطلق النار مرةً أخرى، ولكن رأسه الذي يدور في شدة، منعه من إحكام التصويب، في نفس الوقت الذي انحرف فيه (أشرف) و(ناتاليا) مع نهاية الممر إلى الشارع الواسع، و(أشرف) يقول في توتر:

- لقد نجونا مؤقتًا.

أجابته (ناتاليا) في عصبية:

- كان الأفضل أن تقتله، فما أن يسترد اتزانه حتى يعاود مطاردتنا بمنتهى العنف والشراسة.

قال في حدة:

-لست قاتلًا، ثم..

وصمت لحظةً، ثم تابع في غضب:

- ثم إنني أتضوَّر جوعًا.

كان يتوقع منها اعتراضًا واستنكارًا، أو تأنيبًا وتقريعًا، ولكنه فوجئ بها تقول:

- أنا أيضًا لم أذق الطعام، منذ صباح أمس.

ثم أردفت في حزم:

- ولكننا لن نتوقف لتناول الطعام، إلا على بعد كيلو مترين من هنا على الأقل.

وأشارت إلى واحدة من سيارات الأجرة، التي توقفت على الفور، فهتفت بسائقها:

- انقلنا إلى أقصى غرب المدينة.

تبعها (أشرف) داخل السيارة، وهو يهتف:

- نعم ... إلى أفخر مطعم هناك.

واسترخى في مقعده، وهو يخفي وجهه بكفه، في حين التقطت (ناتاليا) نفسًا عميقًا، وهي تلقي رأسها إلى الخلف، وتفرد شعرها الأشقر الناعم الطويل على مسند المقعد الخلفي...

ولامست خصلات شعرها وجه (أشرف)، الذي استنشق عطرها في عمق، وأسبل جفنيه، وهو يفكِّر فيها..

إنها جميلة!...

بل رائعة الجمال...

ما من شك في هذا...

وربما هذا هو ما جذبه إليها بالفعل، وجعله ينحاز إلى صفها، كما قال (دارك)...

إنه انجذابه الطبيعي إلى الجمال...

ولكن لماذا يشعر أنه أحمق هذه المرة؟!...

لماذا يشعر بالسخط على نفسه، وهو يجلس إلى جوار أجمل فتاة رآها في حياته كلها؟!...

إنه لم ينسَ بعد أن جمال توأمها (هيلجا) هو الذي أدّى إلى تورطه في هذه المشكلة كلها...

ولم يكد يستعيد هذه الذكرى القريبة، حتى فتح عينيه، واعتدل في مجلسه، والتفت إلى (ناتاليا)، يسألها والسيارة تنطلق في هدوء إلى أقصى غرب المدينة:

- ولماذا أقصى الغرب؟!

أجابته دون أن تعتدل، أو تفتح عينيها:

- حتى نقترب بقدر الإمكان من الحدود اليونانية.

عاد يسألها في إلحاح:

- ولماذا نفعل؟!

ابتسمت ابتسامةً مرهقةً، وهي تقول:

- هذا هو الحل الوحيد.

هتف في حدة:

- أي حل؟!

اعتدلت في بطء، وتطلَّعت إليه بعينيها الزرقاوين الجميلتين وهي تقول:

- الحل الوحيد للفرار من هذه المشكلة كلها... سنعبر الحدود اليونانية.

قال في عصبية:

- حقًّا؟!... إنك تتحدثين كما لو أن الأمر هيِّن وبسيط... إننا سنعبر حدود دولة مستقلة أيتها السوفييتية، وأنا لا أحمل جواز سفر، ولا نقودًا، ولا...

قاطعته وهي تختلس النظر إلى السائق في قلق:

- لا تشغل نفسك بمثل هذه الأمور.

أدرك ما تعينه من نظرتها المختلسة إلى السائق، فعقد حاجبيه في غضب، واكتفى بصمت متوتر، حتى جمعهما مطعم صغير

أنيق، على بعد عشرة كيلو مترات من الحدود اليونانية وهنا سألها في حدة:

- كيف تتوقعين عبورنا الحدود؟!

أجابته في هدوء وهي تتناول طعامها:

- بالرشوة.

مال نحوها يسألها في دهشة:

- بماذا؟!

أجابته في بساطة:

- بالرشوة يا رجل... كل بلد في العالم به عدد لا بأس به من المرتشين.

قال في توتر:

- وأين سنعثر عليهم؟!... هل سنقف عند الحدود ونهتف: «نريد مرتش»؟!

ابتسمت وهي تقول:

- فكرة طريفة، تصلح لفيلم هزلي من الدرجة الثالثة، ولكننا لن نستخدمها بالتأكيد.

ثم مالت نحوه واستطردت في اهتمام، وبصوت شديد الخفوت:

- استخدام الرشوة لعبور الحدود أمر وارد دومًا، في كل مهمة تسند إلينا؛ لذا فنحن نحفظ أماكن العبور عن ظهر قلب، وأسماء الموظفين المرتشين، وحتى المبالغ التي ينبغي دفعها لهم.

تراجع مغمغمًا

- آه... فهمت.

عادت تتناول طعامها في بساطة قائلة:

- والآن انتهِ من تناول طعامك؛ فأمامنا رحلة طويلة.

أجابها وهو ينهض:

- لقد انتهيت... سأغسل يدي وأعود إليك.

هزَّت كتفيها قائلة:

- لا بأس.

ولكنها راقبته في اهتمام، وهو يغادر قاعة الطعام، ثم تنهَّدت قائلة:

- مسكين أنت أيها المصري... لقد اضطرتك الظروف لخوض مغامرة لا قِبَل لك بها.

وواصلت تناول الطعام، وهي تختلس النظر إلى حديقة المطعم الخارجية، بين الحين والحين في حذر وتحفز...

كان المكان عبارةً عن مطعم صغير، ملحق بفندق سياحي أنيق، له حديقة واسعة غنّاء، توقفت فيها حافلة سياحية، وعدد من السيارات الصغيرة، في حين انتشر السائحون في المنطقة يلتقطون الصور الفوتوغرافية، ويتأملون الطبيعة الجميلة..

وانشغلت (ناتاليا) بالمراقبة وتناول الطعام، حيث انتبهت فجأة إلى أن (أشرف) لم يعد بعد، فهبَّت من مقعدها قائلةً في توتر:

- أين ذهب هذا المصري؟!

لم تكد تتم عبارتها حتى ظهر (أشرف) وهو يتجه نحوها، ويقول في اهتمام:

- هل يمكنك تخيل هذا؟!... إن لديهم هنا قاعة كمبيوتر كاملة، وحجرة للاتصالات الدولية، و ...

قاطعته في حدة:

- هل صنعت نسخة أخرى من الأسطوانة؟!

ابتسم قائلًا:

- كلا بالطبع.. لم يخطر هذا ببالي قط، فمن الخطأ أن تكون هناك نسخة أخرى من هذه الأسطوانة، في الوقت الحالي.

تنهَّدت في ارتياح وقالت:

- عظيم... هذا أفضل.

ثم عادت تسأله في اهتمام:

- ولكن لماذا تأخرت؟!... ولماذا؟!

بترت عبارتها بغتة، وهتفت في ارتياع:

- اللعنة!

ارتجف (أشرف) وهو يسألها:

- ماذا حدث؟!

أجابته في توتر شديد، وهي تشير إلى حديقة الفندق:

- الأمريكيون.

وثب من مكانه، والتفت في هلع إلى حيث تشير، ورأى (دارك) يغادر سيارته، ومعه (توم) ورجل آخر ضخم الجثة، فهتف:

- ماذا سنفعل الآن؟

أجابته في حدة، وهي تجذبه بعيدًا عن النافذة:

- ليس لدينا سوى حل واحد.

وأضافت وهما يغادران المطعم بخطوات أقرب إلى العدو:

- الفرار.

عبرا ممرات الفندق بخطواتهما السريعة حتى بلغا الباب الخلفي للفندق، فانتزعت (ناتاليا) مسدسها، وهي تقول:

- احترس حتى لا يلمحنا أحدهم.

قال في توتر:

- المهم كيف يمكننا الفرار... لقد رحلت سيارة الأجرة، ولسنا نمتلك سيارات أخرى هنا.

قالت في خفوت:

- أعتقد أننا نستطيع الاستيلاء على واحدة.

هتف في غضب:

- هل سنسرق سيارةً؟!... عظيم... ألا توجد موبقات أخرى ترغبين في دفعي إلى فعلها يا (ناتاليا)؟!

قالت في صرامة:

- كف عن ثورتك العقيمة هذه!

قال في حدة:

- ثورتي العقيمة؟!... ألا تدركين أنني منذ التقيت بشقيقتك، أضطر لارتكاب أفعال لم يخطر ببالي القيام بها يومًا؟!

أشارت إليه بيدها قائلةً:

- اصمت... لو واصلت صراخك هذا، فسيرسلون إلينا الجيش الأمريكي نفسه.

دار حول الفندق، وهو يشعر بمزيج متصارع من السخط والتوتر والقلق في أعماقه، حتى بلغا الحديقة مرةً أخرى، وقالت (ناتاليا) وهي تشير إلى سيارة الأمريكيين التي يقف إلى جوارها (توم)، وقد أولاهما ظهره:

- ما رأيك في هذه السيارة؟!

هتف في دهشة:

- هل تمزحين؟

هزَّت رأسها نفيًا، وهي تقول:

- مطلقًا... إنها أفضل فكرة قفزت إلى ذهني، منذ عام على الأقل... إنني سأهاجم ذلك الأمريكي، وأفقده الوعي بضربة مباغتة على مؤخرة رأسه، ثم تقفز أنت إلى السيارة وتنطلق بها، و...

قاطعها في حدة:

- لن يمكنني هذا.

تنهَّدت وقالت:

- أعلم أنك تكره العنف؛ لذا فسأقوم أنا بالعمل كله، ولن يكون عليك سوى قيادة السيارة حتى نبتعد عن هنا، و ...

قاطعها في عصبية:

- إنني أجهل قيادة السيارات.

التفتت تتطلَّع إليه في دهشة قائلة:

- ماذا؟!

أجابها في عصبية أكثر:

- إنني أجهل قيادة السيارات... ماذا في هذا؟!... إنني لم أمتلك سيارةً يومًا، ولم تكن بي حاجة لتعلم القيادة.

بدت له ابتسامتها وكأنها ستنفجر ضاحكةً؛ إلا إنها لم تلبث أن ناولته المسدس، وهي تقول في هدوء:

- فليكن... سنعكس الأدوار... اضربه أنت، وسأقود أنا السيارة.

التقط المسدس منها، وهو يقول:

- فليكن.

أمسك المسدس في توتر شديد، حتى هتفت هي:

- الآن.

قالتها فانطلقا في آن واحد، عبر الأمتار الخمسة التي تفصلهما عن (توم)، الذي شعر بوقع أقدامهما خلفه، فالتفت بسرعة، وهتف في عصبية وهو يمدّ يده لالتقاط مسدسه من جيب سترته:

- اللعنة!

ولكن (أشرف) استجمع كل قوته، وهوى على وجهه بضربة عنيفة بمسدسه، تراجع لها الرجل في عنف، وارتطم بالسيارة وصاح في غضب:

أيها المصري الـ ...

وعاجله (أشرف) بضربة أخرى، أشد عنفًا من الأولى، في نفس اللحظة التي قفزت فيها (ناتاليا) إلى مقعد القيادة، وأدارت المحرِّك، وهي تهتف:

- أسرع يا (أشرف)... أسرع.

سقط (توم) فاقد الوعي، في حين ظهر (دارك) والرجل الآخر عند مدخل المطعم، وصاح الأوَّل في توتر:

- توقفا.

ولكن (أشرف) قفز داخل السيارة، التي انطلقت بها (ناتاليا) على الفور، والرجل المصاحب لـ(دارك) ينتزع مسدسه ويطلق النار خلف السيارة، حتى هتف به (دارك):

- ابحث عن وسيلة يا (براون)... لا بد أن نلحق بهما.

انطلق (براون) بلا تردّد إلى الحافلة السياحية، فانتزع سائقها من مكانه، وألقى به في الحديقة وهو يقول:

- أسرع يا مستر (دارك)... أسرع.

وثب (دارك) إلى الحافلة، فانطلق بها (براون) مباشرةً خلف سيارة (ناتاليا) و(أشرف)، لتبدأ مطاردة جديدة...

مطاردة عنيفة...

وقاتلة.

***

- ١٣ -

المطاردة

انطلقت (ناتاليا) بأقصى سرعتها متجهةً نحو الغرب، في اتجاه الحدود اليونانية وبدا (أشرف) شديد التوتر وهو يلتفت خلفه قائلًا:

- أراهن أنهم سيجدون وسيلةً لمطاردتنا.

غمغمت في توتر:

- بل ثق في هذا.

صمت لحظات، ثم سألها بغتةً:

- ما ذلك السر الذي تحويه أسطوانة الكمبيوتر؟!

عقدت حاجبيها، قائلةً:

- ليس هذا وقت مناقشة ذلك.

قال في حدة:

- أريد أن أعرف على الأقل ذلك السر الذي قد أموت من أجله.

ران عليهما الصمت لحظات أخرى، وهي تضغط دوَّاسة الوقود بكل قوتها، ثم قالت في توتر:

- هذا حقك.

والتقطت نفسًا عميقًا قبل أن تستطرد:

- أنت تعلم أن سلاح الطيران المصري أصبح يضمّ في الآونة الأخيرة مختلف أنواع الطائرات، من الميج السوفييتية، إلى الميراج الفرنسية، والفانتوم الأمريكية، ولكن المشكلة التي تواجه المصريين، هي أنهم يحصلون على طرازات ليست بالحديثة، من كل الأطراف؛ لذا فقد قرَّروا القيام بعدد من التطويرات فيما يحصلون عليه من طائرات؛ لتعويض الفارق.

غمغم في توتر:

- هل هذه المقدِّمة ضرورية؟!

أجابته بسرعة:

بالتأكيد.

ثم التقطت نفسًا آخر، وواصلت:

- وطوال العامين السابقين، انهمك عدد من مهندسي الطيران المصريين، وبصورة سرية تمامًا، في تطوير نظم الدفاع والقتال، في (الفانتوم- ١٦)، والعجيب أنهم توصَّلوا إلى نظم تحكم جديدة، تعدّ سابقةً مدهشةً من نوعها، في سرعة ويسر الأداء.

سألها في دهشة:

- أتعنين أن هذه الأسطوانة..

قاطعته وهي تتطلَّع في توتر إلى مرآة السيارة:

- نعم... إنها تحوي كل التصميمات اللازمة، وهي النسخة النهائية والوحيدة، ووضعها في شكل لعبة من ألعاب الكمبيوتر هو نوع من الخداع والتمويه... ولقد بذلنا جهدًا رهيبًا، حتى

أمكننا الحصول على هذه الأسطوانة، ولكن الأمريكيين توصَّلوا إلى هذا ولست أدري كيف، ولكنهم يسعون لاستعادة الأسطوانة منا باستماتة، فهي لا تكشف التطوير الجديد لمهندسي الطيران المصريين فحسب، وإنما تفضح التصميمات الفعلية للطائرة (فانتوم- ١٦) أيضًا، وهذا ما يثير جنون الأمريكيين، و...

قاطعها هاتفًا:

- إنهم خلفنا، في الحافلة السياحية.

هتفت وهي تحاول مضاعفة ضغطها على دوَّاسة الوقود:

- هذا ما كنت أخشاه...

انطلقت السيارة بأقصى سرعتها، ولكن الحافلة راحت تقترب منها في سرعة مماثلة، فهتف (أشرف) في توتر:

- سيلحقون بنا.

قالت في حدة:

- حافلتهم أقوى من سيارتنا.

لحقت بهما الحافلة بالفعل، وراح (براون) يميل بها نحو سيارتهما، في محاولة لدفعهما خارج الطريق، فصاحت (ناتاليا):

- أطلق النار يا (أشرف)... أطلق النار عليهم.

انتبه (أشرف) فجأة إلى أنه ما زال يحمل مسدسها، فأدار فوهته بسرعة إلى الحافلة، وراح يُطلق النار...

وأصابت الرصاصات جسم الحافلة، فضغط (براون) فراملها بحركة آلية وهتف (دارك) في حنق:

- إذن فأنت ترغب في تبادل النيران أيها المصري... فليكن... أنت جنيت على نفسك.

وانتزع من سترته مسدسًا آليًّا ضخمًا وهو يصرخ:

- خذ هذه الرصاصات الأمريكية.

انهالت الرصاصات من مسدسه في غزارة، وأصابت جسم السيارة الأخرى وزجاجها الخلفي؛ فانحنى (أشرف) يتفادها وهو يهتف في هلع:

- ما هذا بالضبط؟!... مدفع آليّ.

أجابته (ناتاليا) وهي تحاول مناورة الحافلة بكل مهارتها:

- بل هو مسدس، ولكنه أشبه بالمدفع الآلي، فخزانته تحوي مائتي رصاصة دفعةً واحدةً.

ثم زفرت في حدةٍ، مستطردةً:

- ينبغي أن نعترف بأنهم يفوقوننا قوةً.

قال (أشرف) في عصبية:

- يا له من اعتراف طريف!... وماذا علينا أن نفعل إزاء ذلك أيتها العبقرية؟!... هل نستسلم؟!

عقدت حاجبيها وهي تقول:

- ليس في نيتي هذا.

ثم انحرفت بسيارتها فجأةً، بحيث أصبحت أمام الحافلة تمامًا وقالت:

- سيصعب عليهم إصابتنا، من هذه الزاوية المباشرة.

ولكن (دارك) قفز يطلق النار على زجاج الحافلة الأمامي، حتى أسقطه، وانحنى يطلق الرصاصات على السيارة من أعلى صارخًا:

- فكرة غبية أيتها السوفييتية... غبية مثلك.

غمغمت (ناتاليا):

- تشبث جيدًّا، قبل أن تنطق عبارةً سخيفةً كهذه أيها الأمريكي.

ثم ضغطت فرامل السيارة بغتةً...

وارتطمت مقدمة الحافلة بمؤخرة السيارة؛ فصرخ (أشرف):

- ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟!

لم تجبه (ناتاليا) وهي تراقب مرآة سيارتها في اهتمام، فقد كانت تتوقَّع اندفاع (دارك) خارج مقدمة الحافلة، بفعل التوقف المفاجئ...

وكاد هذا يحدث بالفعل...

ولكن (دارك) تراجع في اللحظة الأخيرة، وجاء الارتطام ليدفعه إلى الأمام، فأمسك (براون) حزامه بسرعة وهو يهتف:

- إلى أين؟!

وأنقذت حركة (براون) اليقظة (دارك) من السقوط، ولكنه ارتطم بالمقدمة؛ فسقط منه مسدسه الآلي وصاح في غضب:

- اللعنة عليك أيتها السوفييتية... ستدفعين ثمن المسدس غاليًا.

وبكل قوته ارتطم (براون) بالسيارة مرةً أخرى، وراح يدفعها أمامه وهو يطلق ضحكةً عاليةً قائلًا:

- إنهم تحت سيطرتنا الآن يا مستر (دارك)... أين تريدني أن أدفع بهم؟!... إلى الهاوية، أم إلى الجبل؟!

قالها وهو ينقل بصره في جذل، ما بين الصخور إلى اليمين، وحافة الهاوية العميقة إلى اليسار، فأجابه (دارك) في غضب:

- افعل بهما ما يحلو لك... المهم أن تختفي تلك الأسطوانة اللعينة من الوجود... إلى الأبد.

أطلق (براون) ضحكةً عاليةً، وهو يقول:

- أشكرك يا مستر (دارك)... أشكرك على منحي حق الاختيار.

وفي نفس اللحظة، كان (أشرف) يهتف:

- إنهم يسيطرون علينا... ماذا يمكننا أن نفعل؟!

صاحت به (ناتاليا):

- استخدم المسدس... أطلق النار عليهم.

هتف:

- كيف؟!

أجابته في توتر شديد وقد بدأ (براون) يدفع سيارتهما إلى اليسار، حيث حافة الهاوية:

- أطلق النار على إطار الحافلة الأيمن... أسرع.

لم يكن يدرك ما ترمي إليه بالضبط، ولكنه اعتدل وأمال

جسده عبر النافذة، وصوَّب المسدس إلى الإطار الأيمن وأطلق النار...

أطلق مرةً...

وثانيةً...

وثالثةً...

ومع الرصاصة الثالثة انفجر الإطار الأيمن؛ فصرخ (براون):

- اللعنة!

وعلى الرغم منه، وبشكل تلقائي تمامًا، ضغط فرامل الحافلة، وانحرف بها إلى اليمين مع انخفاض مستوى الحافلة في اتجاه الإطار المنفجر، وفي نفس اللحظة انحرفت (ناتاليا) إلى اليسار، وسمع (أشرف) من خلفه صوت ارتطام الحافلة بالصخور؛ فصرخ في (ناتاليا) في هلع:

- احترسي... الهاوية أمامنا.

أمالت عجلة القيادة مرةً أخرى إلى اليمين وضغطت الفرامل في خفة، ورأى (أشرف) إطار السيارة الأمامي الأيسر يتجاوز الهاوية، ثم تميل السيارة كلها؛ فيعود إلى الطريق الذي اندفعت السيارة فوقه ثانيةً، وهي تثير خلفها عاصفة من الغبار...

وهتف (أشرف):

- ربَّاه!... لقد تصوَّرت لحظة أننا سنسقط في الهاوية.

همست (ناتاليا) في اضطراب شديد:

- وأنا كذلك.

حدَّق في وجهها مذعورًا، ثم ألقى جسده فوق مقعده في ارتياع صامت، في حين واصلت هي الانطلاق بالسيارة بضع دقائق، قبل أن تصدر عن المحرِّك قرقعة مخيفة، ثم ترتج السيارة في عنف، ويصمت صوت محرِّكها تمامًا...

واعتدل (أشرف) في ذعر وهو يقول:

- ماذا حدث؟!

أجابته (ناتاليا) في توتر:

- نفد الوقود.

- اتسعت عيناه في ارتياع وهو يهتف:

- الآن؟!

لم يكد يتمّ كلمته حتى انتبه فجأةً إلى أزيز واضح، أخفاه صوت المحرك طويلًا...

أزيز هليوكوبتر...

وفي توتر بالغ هتفت (ناتاليا):

- هناك من يطاردنا بطائرة هليوكوبتر.

قال في هلع:

- الأمريكيون!

ألقت نظرةً سريعةً على مرآة السيارة، ثم قالت في عصبية:

- بل رجال الشرطة... الشرطة التركية.

أطلق (أشرف) شهقةً مكتومةً، وارتمى مرةً ثانيةً على مقعده متمتمًا:

- هذا ما كان ينقصنا.

وفي اللحظة نفسها ارتفع صوت أحد رجال الشرطة التركية، عبر مكبر صوتي وهو يقول من الهليكوبتر:

- لا فائدة من الفرار... استسلما على الفور... لدينا بلاغ رسمي عن سرقتكما لهذه السيارة... توقفا إلى جانب الطريق.

كانت سرعة السيارة تنخفض تدريجيًّا، بعد نفاد الوقود، فانحرفت بها (ناتاليا) إلى جانب الطريق، وهي تقول في صرامة:

- أعطني المسدس.

اعتدل (أشرف) يسألها في توتر:

- فيمَ تفكرين؟!

كرَّرت في حدة:

- أعطني المسدس.

قال في توتر:

- اسمعي... إننا نواجه الشرطة الرسمية التركية هذه المرة.

قالت في صرامة:

- إننا ندافع عن حياتنا.

هتف مستنكرًا.

- ضد رجال الشرطة؟!

انتزعت المسدس من يده في عنف وهي تقول:

- لست أجد فارقًا.

شعر بقلبه يخفق في عنف وهي توقف السيارة، وتغادرها

مخفيةً المسدس خلف ظهرها، فغادرها خلفها وهو يتمتم:

- قلبي يحدثني بأننا في مواجهة كارثية.

لم تجب (ناتاليا)، التي وقفت صامتةً، ساكنةً تتطلَّع إلى الهيلوكوبتر في انتباه وهي تحوم حولهما، في حين قال حامل مكبِّر الصوت في صرامة:

- أفرغا جيوبكما، وابتعدا مسافة مترين عن السيارة.

غمغمت (ناتاليا):

- هذا ما كنت أخشاه.

قال (أشرف) في عصبية:

- ليس هناك ما تخشينه... إنهم رجال شرطة رسميون.

قالت في برود:

- ومن أدراك؟!

هوى قلبه بين قدميه مع عبارتها..

نعم... من أدراه أنهم رجال شرطة بالفعل؟!

وفي توتر، راح يراقب الهليوكوبتر التي تحوي ثلاثةً يرتدون زيّ الشرطة التركية...

الطيَّار، وحامل مكبر الصوت، وثالث يحمل مدفعًا آليًّا ويصوِّبه إلى حيث تقف (ناتاليا)...

وفي صرامة أشد، كرَّر حامل مكبِّر الصوت:

- أفرغا جيوبكما، وابتعدا عن السيارة، وإلا فسنضطر لإطلاق النار.

ومع كلماته، برز صاحب المدفع الآليّ، وبدا متحفزًا، و...

وفجأةً، أخرجت (ناتاليا) المسدس من خلف ظهرها، وأطلقت النار على صاحب المدفع الآليّ؛ فأصابته إصابةً مباشرةً، وأسقطته من الهليوكوبتر...

وصرخ (أشرف) في ارتياع:

- ماذا فعلت أيتها المجنونة؟!

دفعته جانبًا وهي تهتف

- ابتعد.

ولكن الهليوكوبتر توقَّفت لحظةً في الهواء، ثم اندفعت نحوهما في سرعة، وضغط قائدها زرًّا صغيرًا أعلى عصا القيادة...

وانطلقت نيران مدفع الهليوكوبتر الآلي نحو (أشرف) و(ناتاليا)...

وانهالت الرصاصات كالمطر...

أو كالموت.

❊ ❊ ❊

- ١٤ -

الحدود

كان طيار هليوكوبتر الشرطة التركية يطلق النار في غضب عارم... ولكن هذا بالتحديد ما جعله يخطئ التصويب، فالغضب الشديد يذهب العقل، ويلغي القدرة على التفكير السليم وحسن اتخاذ القرار، والتعامل معه...

أما (ناتاليا)، فقد هتفت بـ(أشرف):

- هيا بنا.

صاح مذعورًا ومستنكرًا:

- إلى أين؟!... الرصاصات تنهال على كل مكان!!.

قالت وهي تجذبه من معصمه في حزم:

- حاول أن تتجاهلها.

صرخ في حنق وهو يعدو مرغمًا إلى جوارها:

- ولو فعلت... هل ستتجاهلني هي؟!

صاحت به:

- اجرِ فحسب.

ولم يكن أمامه بالفعل سوى طاعتها، فانطلق يعدو معها بكل قوته، والرصاصات تتناثر خلف أقدامهما، والطيَّار يصرخ

في غضب:

- لن تفلتا مني.

لهث (أشرف) وهو يقول:

- يبدو أنه على حق... لم أعد أستطيع المواصلة.

جذبته فجأةً إلى اليمين هاتفةً:

- فليكن، سنتوقف هنا.

صاح مذعورًا:

- ماذا تقولين؟!

ولكنها دفعته جانبًا في قوة، فسقط أرضًا، في نفس اللحظة التي ألصقت هي فيها ظهرها بالصخور، ثم أمسكت مسدسها بقبضتيها، ورفعت فوهته نحو الهليكوبتر، صارخةً:

- لم تترك لنا سوى هذا.

وكان مشهدًا رهيبًا بحق...

الهليوكوبتر تنقض على (ناتاليا)، ورصاصاتها تتفجَّر في الصخور المحيطة بها، في حين وقفت هي في حزم عجيب، تطلق رصاصات مسدسها على الهليوكوبتر...

وفجأةً، اشتعلت النيران في مؤخرة الهليوكوبتر، وصرخ قائدها:

- اللعنة!... لقد أصابتنا.

ثم استدار بطائرته محاولًا الابتعاد، قبل أن تمتدّ النيران إلى خزان الوقود، ولكن (ناتاليا) قالت في شراس:

- لا تحاول يا هذا... لقد خسرت المباراة.

وأطلقت آخر ما تبقى في خزانة مسدسها من رصاصات، وحطَّمت المروحة الخلفية للهليوكوبتر، التي اختلّ توازنها دفعةً واحدةً، فدارت حول نفسها في عنف قبل أن ترتطم بالصخور، على مسافة عشرين مترًا من (ناتاليا) و(أشرف)، وتنفجر بدويّ هائل...

ولم ينبس (أشرف) ببنت شفة، حتى تلاشى الدوي تمامًا، وتساقط حطام الهليوكوبتر المشتعلة، واستقرّ بعيدًا، في منتصف الطريق، فصاح غاضبًا:

- لِمَ فعلت هذا؟!

أجابته في عصبية:

- ماذا كنت تفضّل؟!.. أن يقتلنا هو؟!

قال في حدة:

- بل كنت أفضل أن يبقى كلانا على قيد الحياة.. . لقد بدأ يبتعد بالفعل، بعد اندلاع النيران في مؤخرة الهليوكوبتر، ولم يكن هناك داع لقتله على هذا النحو.

أشارت إلى حطام الطائرة، وهي تهتف في غضب:

- لو رحل على هذه الصورة، لوجدت جيشًا من رجال الشرطة خلفنا.

صاح بها:

- وما الذي تتوقعين أن يفعلوه الآن؟!... يرسلوا برقية تهنئة؟!

أجابته صارخةً:

- سيُجرون بعض التحريات، ويستجوبون كل من عبر الطريق، ثم يصدرون نشرة بأوصافنا، ويطالبون بإلقاء القبض علينا، وحتى ينتهوا من كل هذا، نكون قد عبرنا تلك الحدود اللعينة، وأصبحنا خارج قبضتهم تمامًا... هل فهمت؟!

كان تحليلها منطقيًّا، على الرغم من قسوته، ولكنه قال في عصبية:

- وكيف يمكننا بلوغ تلك الحدود؟!.

أجابته في حزم:

- سيرًا على الأقدام.

حدَّق في وجهها بدهشة، قبل أن يهتف مستنكرًا:

- هل جننت؟... أتعلمين كم كيلو مترًا يفصلنا عن تلك الحدود؟... عشرة كيلو مترات على الأقل!

قالت في حسم:

- هذا يعني ساعتين من السير على الأقدام على الأكثر[1] ألا يمكنك السير لساعتين فحسب!

قال في عصبية:

- بل يمكنني السير لعشر ساعات في الظروف العادية، ولكن دقيقةً واحدةً في مثل هذه الظروف، تعني الكثير والكثير...

جذبته في حزم، وهي تقول:

---

(١) سرعة الإنسان العادي ستة كيلو مترات في الساعة.

- وتعني أنه لا ينبغي أن نضيع ثانيةً واحدةً.

سألها في دهشة، وهما يتسلقان الصخور:

- ماذا تفعلين؟!

أجابته بسرعة:

- أطبق القاعدة الهندسية الشهيرة... أقصر الطرق من نقطة إلى أخرى، هي الخط المستقيم... لن أضيع وقتي في اتخاذ الطرق الطبيعية، فهذا يجعلنا نخسر الكثير من الوقت، كما أنه يجعل العثور علينا أكثر سهولة من العثور على نملة سوداء، فوق ورقة ناصعة البياض... سنعبر ذلك التل إلى منطقة الغابات، ونجتازها مباشرةً إلى نقطة الحدود.

سألها في عصبية:

- وماذا لو وجدناهم في انتظارنا هناك؟!

عقدت حاجبيها قائلةً في صرامة:

- اطمئن... هناك إجراءات لتفادي هذا.

لم تشرح له طبيعة هذه الإجراءات...

ولم يحاول هو أن يسألها...

فقط واصلا تسلقهما، وهبوطهما في الجانب الآخر، حتى بلغا منطقة الغابات، وراحا يقطعانها في صمت...

وفي رهبة...

***

استغرقت المسافة ساعةً وثلاثًا وخمسين دقيقة بالضبط، قبل

أن تلوح نقطة الحدود من بعيد، فهتف (أشرف)، وهو يُطلق زفرةً حارةً:

- أخيرًا... خيل إليّ أن قدمي ستنهاران، لو واصلنا السير لربع ساعة أخرى.

عقدت حاجبيها، وهي تقول:

- هذا لأنك لا تزاول رياضةً منتظمةً.

أشار بيده، قائلًا في عصبية:

- كفى... أرجوك... لقد سئمت هذه المحاضرات، التي أسمعتني عشرات منها طوال الطريق.

ابتسمت قائلةً:

- هل أصابك الملل؟!.

صمت دون أن يجيب، وهزَّ كتفيه بحركة لا معنى لها فأطلقت ضحكةً صافيةً، ومالت نحوه قائلةً:

- كم تروق لي يا (أشرف)!

تطلَّع إليها في دهشة وقد بدا له الحديث عجيبًا، في موقفهم هذا، وغمغم:

- أروق لك؟!

ضحكت مرةً أخرى، ومالت نحوه أكثر، حتى ملأ عطرها أنفه، وهي تهمس:

- بالتأكيد... بساطتك، وعفويتك، وشهامتك... من المرأة التي يمكنها الصمود أمام كل هذا؟!

أسكره عطرها، وتمنى لو أنه جذبها إليه، واحتواها بين ذراعيه، و...

- «والآن ماذا سنفعل؟!»..

لم يدر لماذا ألقى هذا السؤال في هذه اللحظة بالذات! ولكن يبدو أن شيئًا ما في عقله الباطن جعله يفعل هذا، للفرار من حرج الموقف...

ولكنها فهمت...

وفي خبث أنثوي، ابتسمت وتراجعت قائلةً في هدوء:

- سنعبر الحدود...

قال في عصبية:

- بهذه البساطة؟!

هزَّت رأسها، قائلةً:

- كلا... ليس بهذه البساطة... إننا لن نعبر الحدود من هنا.

تطلَّع في حيرة إلى نقاط الحدود، التي تبدو عند نهاية الغابة، وقال:

- من أين سنعبرها إذًا؟!

أشارت إلى الغرب، قائلةً:

- سنسير بمحاذاة الحدود لنصف الساعة، وعندئذ سنجد نقطة حدود منفردةً، يرأسها المقدِّم (كوستا)... وسيسمح لنا بعبورها.

سألها:

-هل أنت واثقة؟!

ابتسمت قائلةً:

- (كوستا) يعمل لحسابنا، منذ ثلاث سنوات.

وبدأت سيرها نحو الغرب بالفعل مستطردةً:

- وهي ليست أوَّل مرة، يفعل فيها هذا.

أومأ برأسه متفهمًا، وسار إلى جوارها صامتًا، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا...

ثم قطعت (ناتاليا) حبل الصمت، وهي تسأله:

- ما اسمها؟

سألها في دهشة:

- من هذه؟

هزَّت كتفيها، وقالت:

- الفتاة التي ترتبط بها في وطنك.

ابتسم في خجل، مغمغمًا:

- لست مرتبطًا بأية فتيات هناك.

هتفت:

- حقًّا؟!

أدهشه هتافها بكل ما يحويه من لهفة وسعادة، فتطلَّع إليها في حيرة جعلتها تضحك قائلةً:

- لماذا تحدِّق فيَّ هكذا؟!

همّ بقول شيء ما، ثم لم يلبث أن تراجع، وأطبق شفتيه وهو يشيح بوجهه، مما جعلها تطلق ضحكةً أخرى قائلةً:

- ألا أروق لك؟!

قالتها في دلال، وهي تتوقع منه إقبالًا لا حد له، واعترافًا بجمالها وسحرها، ولكنها فوجئت به يجيب في توتر:

- كلا.

خُيل إليها أنها لم تسمعه جيدًا، أو لم تحسن فهمه، فغمغمت:

- كلا ماذا؟!

أجابها في عصبية:

- كلا.. لست تروقين لي.

عقدت حاجبيها في غضب وهي تقول:

- لماذا؟!... ما نوع الفتاة التي تروق لك في المعتاد؟!

قال بلهجة مستفزة:

- لم أحدِّد أوصافها بعد، ولكنها تختلف عنك حتمًا.

توقفت (ناتاليا) بغتةً، والتفتت إليه في حدة، فارتبك مغمغمًا:

- ربما لم أقصد هذا بالتحديد.

انتزعت خنجرًا من حزامها بغتةً بحركة عنيفة للغاية، وأطلّت من عينيها نظرة شرسة، فتراجع ملوِّحًا بكفيه، وهاتفًا:

- إنه مزاح فحسب... لن تقتلي شابًّا لمجرد أنه...

ولكن (ناتاليا) قاطعته بصيحة قتالية حادة، ورفعت خنجرها، وقذفته بكل قوتها...

وانطلقت صرخة ألم، من بين شفتي رجل...

رجل يحتضر.

* * *

- ١٥ -

يوري

للوهلة الأولى، تصوَّر (أشرف) أن الخنجر سينغرس في قلبه لا محالة، ثم بدا له مساره أقرب إلى عنقه منه إلى قلبه، ولكن النصل اللامع الحاد مرق على قيد سنتيمترات من عنقه، وواصل طريقه وسط الغابة...

ثم انطلقت تلك الصرخة...

وانتفض جسد (أشرف) في عنف، ثم استدار بسرعة يحدِّق في مصدر الصرخة، ووقع بصره على (توم) الذي جحظت عيناه، وزاغت حدقتاه وقد انغرس الخنجر حتى مقبضه في قلبه، وارتجفت يده الممسكة بمسدس مزوَّد بكاتم للصوت لحظة، قبل أن يهوي جثةً هامدةً...

وقبل أن ينطق (أشرف) بحرف واحد، كانت (ناتاليا) قد تجاوزته وانتزعت المسدس من يد (توم)، وهي تقول في شراسة:

- اذهب إلى الجحيم.

هتف (أشرف):

- إذًا فقد عثر الأمريكيون علينا.

انطلقت تعدو هاتفةً:

- أسرع... لا بد أن نبلغ نقطة (كوستا) بأقصى سرعة.

لم يجد أمامه سوى أن يعدو خلفها، وهو يقول في توتر بالغ:

- ولكنهم كشفوا أمرنا بالفعل.

أجابته لاهثةً:

- هذا صحيح، وسينتظروننا في نقطة الحدود الرئيسية، ولو طال غيابنا، سيعلمون أننا نتجه إلى إحدى النقاط الفرعية ويلحقون بنا هناك، ولهذا ينبغي أن نصل إلى (كوستا)، وننهي إجراءات عبور الحدود بأقصى سرعة.

لهث بدوره من فرط التعب والانفعال والتوتر، وراح يجري معها عبر الغابة، حتى لاحت نقطة الحدود الفرعية، فهتفت هي:

- ها هي ذي.

وخففت سرعتها، وهي تستطرد في توتر:

- حاول أن تبدو هادئًا متماسكًا وإلا استغلّ (كوستا) الموقف، وطالبنا بضعف المكافأة المعتادة.

حاول أن يبدو هادئًا متماسكًا، إلا أن الانفعال في أعماقه كان يعصف بنفسه كلها، فهتف في حدة:

- وكيف أفعل هذا؟

قالت في عصبية:

- حاول فحسب.

هتف:

- إنني أحاول... هذا كل ما يمكنني فعله.

عقدت حاجبيها في توتر، واتجهت نحو جندي الحراسة الوحيد، أمام الكوخ الخشبي، الذي يحمل عبارات باللغات التركية واليونانية، والإنجليزية، والفرنسية، وقالت:

- أريد مقابلة المقدمّ (كوستا).

رمقها الحارس بنظرة خاملة طويلة، ثم أشار إلى الكوخ قائلًا:

- إنه بالداخل.

شعر (أشرف) بالدهشة، من تلك اللامبالاة، التي يتسم بها الحارس، ولكن (ناتاليا) بدت هادئةً واثقةً، وكأنها اعتادت هذا، ودلفت إلى الكوخ الخشبي وهي تشير له بأن يتبعها، وسمعها تقول في دلال واضح:

- مرحبًا يا (كوستا)... مضت فترة طويلة، منذ التقينا آخر مرة.

لحق بها (أشرف) إلى الداخل، وشاهد رجلًا قصيرًا، أصلع الرأس، يرتدي حلة رسميةً، ويتطلَّع إلى (ناتاليا) في ارتباك واضح، لم تلتفت إليه هذه الأخيرة، وهي تقول:

- لدينا موعد عاجل، على الجانب الآخر يا (كوستا)، وسندفع رسوم العبور المعتادة، و...

بترت عبارتها بغتةً، عندما انتبهت إلى نظرة الاضطراب في عينيه، وهو يتطلَّع إلى ركن الكوخ، وقبل أن تلتفت إلى حيث ينظر، سمعت باب الكوخ يُغلق من خلفها، وصوتًا مألوفًا يقول:

- أهلًا (ناتاليا).

هوى قلب (أشرف) بين قدميه، وهو يحدِّق في وجه صاحب الصوت، في حين استدارت إليه (ناتاليا) في بطء، وقالت:

- (يوري)؟!

صوَّب (يوري) مسدسه إليها وهو يقول:

- هيا... ألقِ مسدسك أرضًا أوَّلًا يا عزيزتي (ناتاليا)، فأنا أكره التحدُّث إلى النساء، وهن يحملن مسدساتهن... وببطء شديد، وإلا انطلق مسدسي بسرعة البرق.

ألقت (ناتاليا) مسدسها أمام قدمها، وهي تقول في حنق:

- كان ينبغي أن أستنتج هذا، فأنت وأنا نعمل في الجانب نفسه... أو كنا كذلك على الأقل.

ابتسم (يوري) في ظفر وشماتة، وهو يقول:

- نعم يا عزيزتي... كنا كذلك فيما مضى، ولكنك فشلت، ولم تعودي صالحةً للعمل معنا؛ فقد فاتك أنني تلقيت نفس التدريبات، وحصلت على نفس المعلومات، وأعلم جيدًا أنك لن تتجهي إلى نقاط الحدود الرئيسية، بل ستلجئين مباشرة إلى (كوستا) وكان من الطبيعي أن أنتظرك هنا.

قال (كوستا) في توتر بالغ:

- أَنْهِ الموقف بسرعة أيها الرفيق (يوري)... أنت تعلم حساسية مركزي، و...

قاطعه (يوري) في حدة:

- اخرس.

امتقع وجه (كوستا)، وازدرد لعابه في عصبية، في حين انعقد حاجبا (يوري) في صرامة وحشية مخيفة وهو يقول لـ(ناتاليا):

- أين الأسطوانة؟!

بدا عليها العناد، وهمّت بأن تقول شيئًا ما، عندما قال (أشرف) فجأةً:

- إنها معي.

استدار إليه (يوري) في حدة، وقال:

- أعطني إياها.

أجابه (أشرف) في حزم:

- بشرط واحد.

ردَّد (يوري) في دهشة:

- شرط؟!

قال (أشرف) في سرعة:

- نعم... دع (ناتاليا) ترحل أولًا.

حدَّق فيه (يوري) و(ناتاليا) بدهشة بالغة، ثم ابتسم الأوَّل في سخرية وقال:

- إذًا فأنت واقع في غرام عزيزتنا (ناتاليا) الفاتنة... عظيم... هذا يجعل الأمور أكثر بساطة.

ثم جذب إبرة مسدسه مستطردًا في شراسة:

- ستعطيني أسطوانة الكمبيوتر الآن، أو أطلق النار على رأس محبوبتك الغالية.

توتر (أشرف) في شدة، في حين قالت (ناتاليا):

- لا تستمع إليه يا (يوري).

التفت إليها (يوري) بابتسامة ساخرة، فتابعت في توتر:

- إنه هاو... يحاول لعب دور المحترف، في هذا المشهد... ولكنك تعلم مثلي الفارق بين المحترف والهاوي في عالمنا هذا، و...

بترت عبارتها، واتسعت عيناها بشدة وهي تهتف بغتةً:

- لا يا (أشرف)... لا تفعل هذا.

انتفض (أشرف) في جزع، وهو يحدِّق فيها بذهول، فلم يكن قد تحرَّك من مكانه قيد أنملة، أو حاول الإتيان بأي أمر...

ولكن (يوري) وقع في الفخ...

لقد استدار بسرعة كبيرة، مصوِّبًا مسدسه إلى (أشرف) ثم لم يلبث أن انتبه إلى الخدعة، فعاد يلتفت إلى (ناتاليا)، إلا أن هذه الأخيرة استقبلته بركلة قوية، أطاحت بمسدسه وهي تقول:

- هذا هو الفارق يا (يوري).

ثم لكمته في أنفه، مستطردةً:

- أنا محترفة.

تراجع مع لكمتها القوية، فقفزت تستعيد مسدسها، ولكن (يوري) اندفع نحوها هاتفًا:

- ليس بهذه السهولة.

وركل مسدسها بكل قوة قبل أن تصل إليه، فرماه إلى ركن الحجرة وهو يستطرد:

- أنا أيضًا محترف.

هبَّت (ناتاليا) لمقاتلته، ولكنه لكمها في معدتها بقوة، مضيفًا:

- ولكنني من طراز أفضل.

تفجَّر غضب هائل في أعماق (أشرف)، عندما رأى (يوري) يلكم (ناتاليا)، فانقضّ عليه، صائحًا:

- أيها الوغد أتضرب امرأة!!.

تفادى (يوري) انقضاضته بانحرافة سريعة، ثم لكمه في فكه قائلًا في سخرية:

- هل آلمك هذا كثيرًا؟!

شعر (أشرف) باللكمة كالقنبلة وهو يسقط أرضًا، في حين اندفعت (ناتاليا) مرةً أخرى نحو مسدسها صائحةً:

- ربما كنت من طراز خاص يا (يوري).

وقفزت لتلتقط المسدس مستطردةً:

- ولكنه طراز قذر.

كانت أصابعها تهمّ بالتقاط المسدس، عندما صدر صوت رصاصة مكتومة، أطاحت بالمسدس بعيدًا عن يدها، وقال (يوري) في صرامة:

- خسرت أيتها الطراز النظيف.

كان قد استعاد مسدسه، بأسرع مما فعلته هي، ووقف يصوِّبه إليها والدخان يتصاعد من فوهة كاتم الصوت في نهايته، وهو يشير إلى (أشرف) قائلًا:

- تعال هنا أيها الهاوي... قف إلى جوار زميلتنا السابقة، حتى لا تتكرَّر خدعتكما مرةً أخرى.

مسح (أشرف) خيط الدم الذي يسيل من طرف شفتيه، وهو ينتقل إلى جوار (ناتاليا)، التي قالت في عصبية:

- والآن ماذا يا (يوري)؟!... هل ستقتلتنا؟!

أجابها (يوري) في سخرية:

- ماذا كنت ستفعلين، لو أنك في موضعي يا عزيزتي؟!

صمتت (ناتاليا) في حنق، في حين قال (أشرف) في توتر:

- لو قتلتنا الآن، لن تحصل على الأسطوانة.

هزَّ (يوري) كتفيه وقال:

- سأنتزعها من جثتكما.

قال (أشرف):

- ومن أخبرك أنها بحوزتنا؟!.. ربما نحتفظ بها في مكان سري.

ابتسم (يوري) في سخرية وقال:

- في هذه الحالة لن يحصل عليها أحد بعد مصرعكما، وسنرضى بهذا الحل.

قال (كوستا) في عصبية:

- بسرعة يا (يوري)... قد يصل المفتش في أية لحظة.

مطَّ (يوري) شفتيه، وجذب إبرة مسدسه وهو يقول:

- لا بأس يا (كوستا)... سننهي كل شيء على الفور.

وصوَّب المسدس إلى (ناتاليا) و(أشرف) قائلًا:

- ودعا الدنيا يا صديقي.

كانت أصابع (يوري) تهمّ بضغط الزناد، عندما قال (أشرف) في عصبية:

- هناك نسخة أخرى من الأسطوانة.

تطلَّعت إليه (ناتاليا) في دهشة، في حين عقد (يوري) حاجبيه وقال:

- أنت مخادع.

قال (أشرف) في توتر:

- كلا... أنا صادق... هناك نسخة أخرى من الأسطوانة، سيتم تسليمها إلى الأمريكيين، لو لقينا حتفنا.

صمت (يوري) وهو يتطلَّع إليه في حذر، ثم سأله:

- ومتى صنعت هذه النسخة الثانية؟!

بدا وكأن (أشرف) قد بوغت بالسؤال، فارتبك لحظة، ثم أجاب في حدة:

- لست مضطرًّا لإجابة مثل هذا السؤال.

أطلق (يوري) ضحكةً ساخرةً عاليةً وقال:

- بل لا يمكنك إجابته أيها المخادع، لأنك كاذب فيما تقول.. لا توجد نسخة أخرى من الأسطوانة، ولو أنك تملك واحدة، لما سلمتها إلى الأمريكيين، بعد كل ما فعلته من أجل (ناتاليا)... أما بشأن الأسطوانة الأصلية، فإما أن أجدها معكما،

بعد أن أقتلكما، أو تكونا قد أخفيتماها في مكان سري كما تدّعي، وفي الحالتين لن نخسر كثيرًا... المهم ألا يحصل الأمريكيون على سرّ التعديلات المصرية للطائرات (ف - ١٦)، وألا يستعيدها المصريون أيضًا... في هذه الحالة سيرضينا ألا نحصل عليها نحن أيضًا.

وعاد يصوِّب مسدسه إلى (ناتاليا) و(أشرف)، مستطردًا:

- الوداع أيها المخادع... الوداع يا زميلتي العزيزة السابقة.

وانطلقت رصاصات صامتة من كاتم صوت جيد...

وتفجَّرت الدماء في نقطة الحدود.



- ١٦ -

صراع القمة

سرت ارتجافة عنيفة في جسد (أشرف)، عندما صك أذنيه صوت الرصاصة المكتومة، وتصوَّر لحظة أنه قد لقي مصرعه بالفعل...

ولكن لدهشته لم يكن يشعر بأدنى ألم...

جال بخاطره لجزء من الثانية أن الرصاصة أصابت (ناتاليا)...

ثم انتبه بغتةً إلى الحقيقة...

واتسعت عيناه في ذهول...

لقد رأى دهشةً عارمةً، تطلّ من عيني (يوري)، اللتيْن سال بينهما خيط متعرِّج من الدم، ينبثق من ثقب صغير في منتصف جبهته، ثم ترنَّح جسده لحظة، قبل أن يهوي جثةً هامدةً، في نفس اللحظة التي هتفت فيها (ناتاليا):

- أنتما!

استدار (أشرف) بسرعة إلى مصدر الرصاصة التي قتلت (يوري)، وسرت في جسده ارتجافة أخرى، عندما رأى أمامه (دارك) و(براون)، والأخير يحمل مسدسًا ضخمًا، تتصاعد

الأدخنة من فوهته، في حين قال (كوستا) في عصبية شديدة:

- ما هذا بالضبط؟!... لقد اقتحمتما نقطةً حدود رسميةً، أو...

قاطعه (دارك) في خشونة:

- اصمت يا (كوستا).. لقد حوَّلت هذه النقطة الحدودية الرسمية إلى معبر خاص، ولدينا من الوثائق والصور والتسجيلات ما يكفي لإعدامك بتهمة الخيانة العظمى، لو سلمناها للحكومة اليونانية.

شحب وجه (كوستا) في شدة وهو يتمتم:

- سيِّدي... أرجوك...

تجاهله (دارك) تمامًا، وهو يلتفت إلى (ناتاليا)، قائلًا في ظفر متشفّ:

- أراهن أن هذا قد أدهشك يا عزيزتي، فستظلون دائمًا على الحال نفسه أيها السوفييت، مهما تطوَّرت الدنيا من حولكم... إنكم لا تتصوَّرون أبدًا أن كل خططكم معروفة لدينا بكل تفاصيلها.

قالت (ناتاليا) في تحد:

- وكل خططكم أيضًا أيها الأمريكيون.

عقد (دارك) حاجبيه، وهو يقول:

- ربَّما... كل منا له الحق في أن يدّعي ما يشاء، ولكننا أثبتنا كفاءتنا على الأقل، فنحن نعلم أنكم تتعاملون مع (كوستا) منذ زمن.

امتقع وجه (كوستا) أكثر وهو يقول:

- سيِّدي... أرجوك... لست أعترض على أسلوبكم في تصريف أموركم، ولكن لا تجعلني أتورَّط في هذا الأمر.

زمجر (براون)، وهو يقول:

- ولكنك متورط فيه بالفعل.

لوَّح (كوستا) بكفيه، وقال في عصبية:

- فليكن... لا داعي للغوص أكثر في المستنقع، لمجرَّد أنني وطأته بقدميَّ... ما ستفعله بالشاب والمرأة لا يعنيني... اقتلهما لو أردت، ولكن بعيدًا عن هنا.

قالت (ناتاليا) في سخرية عصبية:

- يا لك من وغد مرهف الحس.

تابع (كوستا)، دون أن يبالي بسخريتها:

- إننا في مكان رسمي، والحارس في الخارج يمكنه...

قاطعه (دارك):

- لا تقلق بشأن الحارس.

ثم ابتسم في سخرية، مستطردًا:

- إنه يعمل لحسابنا.

حدَّق فيه (كوستا) في ذهول، فقالت (ناتاليا):

- ما الذي يدهشك... هذا أمر طبيعي في عالمنا.

ابتسم (براون) ساخرًا، في حين قال (دارك) في حزم:

- بمناسبة الحديث عن عالمنا... أين أسطوانة الكمبيوتر؟!

اندفع (أشرف) قائلًا:

- في مكان ما.

التفت إليه (دارك) قائلًا:

- أي مكان؟!.

قال (أشرف) في حدة:

- مكان ما فحسب.

زمجر (براون) قائلًا:

- هذا الفتى يحتاج إلى تأديب.

جذب (دارك) إبرة مسدسه، وصوَّب فوهته إلى رأس (أشرف)، وهو يقول في صرامة وغضب:

- بل يحتاج إلى ما هو أكثر حزمًا.

ازدرد (أشرف) لعابه في صعوبة، وتمتم مضطربًا:

- لن يمكنك قتلي بهذه السهولة... ثم إنك لو فعلت، فلن تحصل على الأسطوانة أبدًا.

قال (دارك) في برود:

- سأجازف بهذا.

حاول (أشرف) أن يتماسك وهو يقول:

- فليكن... أطلق النار، وسيحصل الروس على الأسطوانة.

انعقد حاجبا (دارك) في حدة، و(براون) يقول في عصبية:

- إنه يماطل أو يساوم.

مطَّ (دارك) شفتيه وقال:

- دعه يفعل.

ثم انتزع جواز سفر أخضر اللون من جيبه فجأة، وهو يقول لـ(أشرف):

- ألا ترغب في استعادة هذا؟!

هتف (أشرف) في لهفة:

- جواز سفري؟!

أخرج (دارك) من جيبه رزمة من الأوراق النقدية الخضراء، قائلًا:

- نعم... جواز سفرك، وبضعة آلاف من الدولارات... ما رأيك؟!... إنها صفقة رابحة، لو قارنتها بما يمكن أن يمنحك إياه الروس، مقابل تلك الأسطوانة اللعينة.

ارتفع فجأةً صوت يقول:

- من قال هذا؟

وهتفت (ناتاليا) في دهشة:

- (كلاشينكوف).

دلف الملحق العسكري السوفييتي إلى الكوخ الخشبي في هدوء، أمام العيون المندهشة، وخلفه أحد حراس السفارة، حاملًا مدفعه الآليّ، فانهار (كوستا) على أقرب مقعد إليه، وهو يهتف:

- ربَّاه!.. هذا يدمر مستقبلي تمامًا.

التفت إليه (كلاشينكوف) في هدوء، وقال بلهجة آمرة:

- غادر المكان يا (كوستا)... لدينا حديث طويل هنا.

نهض (كوستا)، وهو يرتجف قائلًا:

- أرجوك أيها الرفيق (كلاشينكوف)... لا مزيد من الدماء.

ألقى (كلاشينكوف) نظرةً على جثة (يوري) ثم مطَّ شفتيه، ورفع عينيه إلى (دارك) و(براون)، قائلًا:

- أية دماء يا (كوستا)... سنتعامل أنا وهؤلاء السادة، كما يفعل أي متحضِّر.

تبادل (دارك) و(براون) نظرةً صامتةً، بعد أن نطق عبارته، ثم أعاد كل منهما مسدسه إلى جيبه، وقال (دارك):

- هذه الأسطوانة من حقنا.

ابتسم (كلاشينكوف)، وأشار إلى حارسه، فخفض فوهة مدفعه، ودفع (كوستا) إلى الخارج، وأغلق الباب خلفه، فشدَّ (كلاشينكوف) قامته، وقال:

- دعنا من فكرة الأحقية هذه... سندفع ضعف ما يعرضه الأمريكيون أيها المصري... ما رأيك؟!

قال (أشرف):

- وماذا عن جواز السفر؟!

ابتسم (كلاشينكوف) في سخرية وقال:

- إنه أمر تافه... سأمنحك وثيقةً رسميةً من سفارتنا، تقول: إنك تقدَّمت بطلب للحصول على تأشيرة دخول لبلادنا، ولكننا فقدنا جواز سفرك، ونتحمَّل المسئوليةَ كاملةً، وبهذه الوثيقة يمكنك استخراج جواز سفر آخر في لحظة واحدة، من سفارتك هنا.

قال (دارك) في عصبية:

- ولكننا نملك الجواز الرسمي، ويمكننا أن نضاعف المكافأة النقدية... ما رأيك في مائة ألف دولار.

قال (كلاشينكوف) في هدوء:

- مائة وخمسون ألفًا.

هتف (دارك):

- ربع مليون دولار.

قال (كلاشينكوف) بسرعة:

- نصف مليون.

انعقد حاجبا (دارك) في حزم، وهو يهتف:

- فليكن أيها الروسي.. سندفع مليون دولار دفعةً واحدةً.

وأكمل (براون) في حسم:

- نقدًا.

فتح (كلاشينكوف) شفتيه، ليواصل المزايدة ولكن (أشرف) قال فجأةً:

- مهلًا أيها السادة.

التفتت إليه العيون كلها، فتابع في حزم:

- الواقع أن المبلغ الذي تعرضونه يسيل له اللعاب.. وها هي ذي الأسطوانة.

قالها، وأخرج الأسطوانة من جيبه، فهتف (براون) في غيظ:

- اللعين !.. كان يحتفظ بها في جيبه.

تابع (أشرف):

- ولكنكم جميعًا نسيتم أمرًا واحدًا، وسط هذا المزاد الطريف.

وانعقد حاجباه في صرامة شديدة، مع استطرادته:

- أن حصولكما على الأسطوانة، يضرّ بأمن (مصر).

تبادل (دارك) نظرةً عصبيةً مع (براون)، ثم قال في صرامة:

- أعطني هذه الأسطوانة.

وهتف (كلاشينكوف):

- هاتها.

قال (أشرف) في حسم:

- ها هي ذي.

وقبل أن يندفع أحدهما نحوه، ألقاها (أشرف) أرضًا وهشَّمها بقدمه في عنف...

وانتفض جسد (براون)، وهو يصرخ في غضب:

- أيها الحقير.

أما (كلاشينكوف)، فصاح:

- أنت تستحق القتل لهذا.

وبقي (دارك) صامتًا لحظة، ثم قال:

- هذا أفضل.

سأله (كلاشينكوف) في عصبية:

- ماذا تعني؟!

هزَّ (دارك) كتفيه، وأشعل سيجارته في هدوء وهو يقول:

- إنها نسخة الأسطوانة الوحيدة، وبتحطيمها يكون الجميع قد خسروا محتوياتها، فالمصريون ليست لديهم التصميمات الخاصة بالتعديلات الجديدة لطائرة (ف - ١٦)، ونحن لا نهتم بمعرفة هذه التعديلات، ما دامت التفاصيل لم تصل إليكم أيها السوفييت... ببساطة، عندما تحطَّمت الأسطوانة، عادت بنا جميعًا إلى البداية، قبل كل هذه الأحداث.

مطَّ (كلاشينكوف) شفتيه، طويلًا ثم قال:

- ربما كنت على حق.

ثم أشار إلى حارس السفارة، مستطردًا:

- وهذا يعني أن وجودنا هنا لم يعد له ما يبرِّره... سنحمل جثة (يوري)، ونعود إلى سفارتنا... إلى اللقاء أيها السادة... لقد أمتعني الصراع كثيرًا هذه المرة.

قال (دارك):

- وماذا عن الفتاة؟!... هل تتركها على قيد الحياة؟!... لقد قتلت عددًا من أفضل رجالي.

هزَّ (كلاشينكوف) كتفيه، وقال:

- لم نعد نهتم بأمرها... ثم إنكم قتلتم (يوري)، وهو أفضل رجالنا.

تنهَّد (دارك)، وقال:

- فليكن.

ثم ألقى جواز السفر إلى (أشرف)، مستطردًا:

- خذ هذا... لم نعد بحاجة إليه.

وفي لحظات، كان الجميع قد غادروا الكوخ الخشبي الصغير، فالتفت (أشرف) إلى (ناتاليا)، وقال في ذهول:

- بهذه البساطة؟!... وبعد كل ما حدث؟!

هزّت رأسها:

- الأمور تسير في عالمنا، على نحو يعجز الناس العاديون عن فهمه، أو حتى استيعابه.

حاول بالفعل استيعاب هذه النهاية العجيبة، وإيجاد أي تفسير أو تحليل منطقي لها، ولكن عقله عجز تمامًا عن هذا، فاكتفى بهز رأسه مثلها، مغمغمًا في استسلام:

- والآن، ماذا علينا أن نفعل؟!

صمتت لحظةً، ثم هزَّت كتفيها، وابتسمت قائلةً:

- ما أتينا لنفعله.. سنعبر الحدود.

وهذا مافعلاه...

وقبل أن يعود (كوستا) إلى كوخه، كانا قد نفذا ما عزما عليه، و...

وعبرا الحدود.

* * *

- ١٧ -

الختام

«وماذا فعلت بعدها».

نطق رجل هادئ، رياضيُّ القوام، هذه العبارة في بساطة، وهو يجلس أمام (أشرف)، الذي هزَّ رأسه قائلًا:

- استطاعت (ناتاليا) تدبير بعض المال من أصدقاء لها في (أثينا)، وابتعت تذكرةَ عودة بالطائرة إلى (القاهرة).

سأله الرجل:

- وماذا عن (ناتاليا)؟!

صمت (أشرف) لحظةً، ثم أجاب:

- بقيت هناك.

مال الرجل نحوه، وسأله في اهتمام:

- ولماذا لم تعد معك إلى (القاهرة)، كما قالت من قبل؟!

صمت (أشرف) فترةً أطول هذه المرة، ثم قال:

- لم تجد مبرِّرًا لهذا، فقد تجاهلها الروس، ولم تعد مطاردة، ثم إنها حصلت بوساطة أصدقائها هناك على عمل جيد، و...

توقَّف لحظةً في حرج، فسأله الرجل في هدوء:

- وماذا؟

تردَّد (أشرف) لحظةً، ثم خفض عينيه، متمتمًا:

- عندما أخبرتها أن طرازها لا يروق لي، لم أكن كاذبًا... صحيح أنها باهرة الحسن، فاتنة، رائعة الجمال... ولكنني لا أميل أبدًا لذلك الطراز الشرس المقاتل من النساء... إنني أحبهن هادئات، رقيقات، ناعمات... يعشقن الحياة الأسرية، ويحترمن أزواجهن.

ابتسم الرجل وقال:

- كلنا هذا الرجل.

ثم التقط نفسًا عميقًا، قبل أن يستطرد:

- أهذا كل ما لديك يا (أشرف)؟!

أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا وقال:

- نعم .. ولقد رويته على مسامعك ثلاث مرات على الأقل.

ابتسم الرجل، ثم قال في هدوء:

- ولماذا أتيت إلينا إذًا؟!

أجاب (أشرف):

- تصوَّرت أن المخابرات المصرية يهمها أن تعلم ما حدث، و...

أخرج من جيبه، أسطوانة كمبيوتر مستطردًا:

- ويهمها أكثر أن تحصل على هذه.

تساءل الرجل مع ابتسامة رصينة:

- أهذه الأسطوانة؟!

ابتسم (أشرف)، مغمغمًا:

- نسخة سليمة منها... النسخة الوحيدة. التقطها الرجل في

اهتمام، وهو يسأله:

- كيف فعلتها؟!

-أجابه (أشرف) في بساطة:

- عندما كنت في المطعم مع (ناتاليا)، اتصلت بصديقي (نذير)، وأرسلت إليه محتويات الأسطوانة عبر أسلاك الهاتف بواسطة وصلة هاتفية خاصة؛ فاستقبلها جهاز الكمبيوتر عنده، وخزَّنها لحين عودتي.

ابتسم الرجل، وربَّت على كتف (أشرف) في حرارة، وهو يقول:

- رائع يا أستاذ (أشرف)... لقد قمت بعمل رائع من أجل وطنك.

وصافحه في حرارة، مضيفًا في اعتزاز:

- أنت بطل يا أستاذ (أشرف)... بطل حقيقي.

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- ولا داعي لأن أذكّرك بأن كل ما حدث ينبغي أن يظلّ سرًّا دفينًا في أعماقك، فلا تخبر به حتى أقرب المقربين إليك.

ابتسم (أشرف) وهمَّ يقول:

- لن أفعل أبدًا يا سيدى... هذا وعد...

* * *

التقط (نذير) نفسًا عميقًا، وهو يقول في سعادة:

- أنهيت قصتي.

التفت إليه (أشرف):

- أهي قصة مخابرات جديدة؟!

أجابه في حماس:

- نعم... قصة عن سر حربيّ خطير، يحتفظ به جاسوس على أسطوانة كمبيوتر، وتدور حرب طاحنة لاستعادته.

ثم ابتسم مستطردًا:

- هل تعلم من أوحى لي بهذه الفكرة؟!...

إنها اللعبة التي أرسلتها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي، من (تركيا)... لقد أشعلت خيالي، ورحت أتصوَّر صراعًا عنيفًا، يدور حول أسطوانة كمبيوتر، تسيل من أجلها أنهار الدم، وتحدث مطاردات مثيرة، و...

بتر عبارته بغتةً، ثم قال في أسف:

- ولكنك لا تؤمن بكل هذا، وترى أنه مجرَّد خيال، ولا يحدث أبدًا في عالم المخابرات الحقيقي... أليس كذلك؟

تطلَّع إليه (أشرف) لحظةً في صمت، ثم تحوَّل صمته إلى ابتسامة، راحت تتسع وتتسع في سرعة، ثم لم تلبث أن تحولَّت إلى ضحكة كبيرة...

ضحكة نبتت من أعمق أعماق القلب...

والعقل...

والذكريات.

* * *

(تمت بحمد الله)


تابعوا موقعنا
#دوده_الكتب

المغامرة

هذه الرواية ستحبس أنفاسك وأنت تقرؤها، حيث يتورط بطل الرواية في مهمة غاية في الخطورة، ورحلة تتغير وجهتها كل صباح، ويتحول فيها بطل القصة إلى هارب تتنازع عليه مجموعة من القوى والمنظمات.. ويصبح عليه للمرة الأولى أن ينصت للرسائل، ويفكّ الشفرات؛ كي ينجو من دائرة المغامرة التي أمسكت به فور أن غادرت قدماه أرض الوطن!

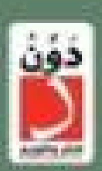
تطرح الرواية أمامك العديد من المفاجآت والأسئلة، وتتركك مع حالة من التشويق طوال القراءة؛ لتكتشف بنفسك كل الأسرار..



د.نبيل فاروق

مواليد طنطا عام ١٩٥٦، تخرج في كلية الطب عام ١٩٨٠، رائد فن الجاسوسية العربي، وواحد من أهم مؤلفي روايات الخيال العلمي، حصل على جائزة إبداع أكتوبر عام ١٩٩٨، وجائزة الدولة التشجيعية عام ٢٠٠٨، صدرت له سلسلة روايات «رجل المستحيل» في مائة وستين جزءاً، وسلسلة «ملف المستقبل» في مائة وستين جزءاً، كما صدرت له عشرات الكتب في سلاسل ومنفردة مثل «كوكتيل ٢٠٠٠» و«حرب الجواسيس» و«فارس الأندلس» و«زهور»... وغيرها، كتب للعديد من الصحف والمواقع، كما كتب العديد من الأعمال الفنية مثل مسلسل «العميل ١٠٠١» وفيلم «الرهينة».





تصميم الغلاف: كريم آدم